

من الأكاديمية إلى القبلاز

وليد العجمي

مقالات

من الأكاديمية إلى الفيلا

مقالات

من الأكاديمية إلى الفيلا

مقالات

وليد العجمي



من الأكاديمية إلى الفيلا

مقالات

وليد العجمي

إصدار: مارس ٢٠١٨

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

/ ٢٠١٨

منشورات دار لوتس للنشر الحر
١٦ شارع محمد موسى – متفرع من أول شارع الملك
فيصل – الجيزة – مصر

كل ما ورد بهذا الكتاب هو مسئولية مؤلفه من حيث الآراء والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيلاً له غير منقول، وجميع الحقوق محفوظة له.

الغلاف والإخراج الداخلي:
دار لوتس للنشر الحر

مشـــروع
النشر الحر



أول دار نشر حـــرة
يملكها كل كاتب

Mob: +2 01091985809 - +2 01272143509
WhatsApp: +2 01091985809
Site: www.Lotusfreepub.com
Mail: Lotusfreepub@gmail.com
F Account: www.facebook.com/lotusfreepub1
F Page: www.facebook.com/lotusfreepub



إلى هيئة التدريس بأكاديمية أخبار اليوم
وإلى فريق إدارة شركة الشروق للأمن
وإلى فريق عمل شركة TPAY
وإلى شقيقتاي منى ومنى
الأولى الحقيقية التي ولدت وماتت قبل أن ألقاها
والثانية الافتراضية التي أهدتني الصدفة لقياها

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الذين لاموني -من اللوم- بسبب تركي لمهنة الزراعة وانخراطي في مهنتي الجديدة في مجال الأمن لم يكونوا يعرفون أن للمهنة الجديدة سمات عديدة، خاصة بالنسبة لكاتب هذه السطور، وإن من أهم سمات هذه المهنة بالنسبة لكل صاحب قلم أنها هي حصان طروادة الذي يدخله أماكن ما كان يحلم بدخولها لولا دخوله إليها بتلك الصفة: رجل أمن.

ولهذا قد دخلت إلى أكاديمية أخبار اليوم ليس بصفتي عضوًا بهيئة التدريس ولا طالبًا ولا موظفًا، ولكن بصفتي رجل أمن، ومن خلال تواجدي بهذا المكان الذي يحمل اسمًا عزيزًا عليّ وهو اسم أخبار اليوم التي إصداراتها أحد أهم مصادر ثقافتي، قد اطلعت

على أشياء وأوضاع كانت خافية بالنسبة لي، وكتبت في ذلك خمسة فصول من هذا الكتاب، كانت في البداية – وكالعادة – عبارة عن مقالات متتابعة على صفحة مقالاتي التي لم تصل لجريدة الشروق.

وما يلفت النظر بحق ويدق أجراس الإنذار هي الطريقة التي ابتعدت أنا بها وابتعدت أيضًا بعد ذلك شركتنا كلها من تأمين هذا المكان، فما لا يتخيله أحد أن أكاديمية أخبار اليوم بالسادس من أكتوبر تحتاج لتأمينها حوالى عشرين فرد أمن نهارًا وتحتاج حوالى نصف هذا العدد ليلاً كما يقول العقد المبرم بين الأكاديمية وبين شركة الأمن التي كنت أعمل بها، أضف إلى ذلك أن المنشأة تقع في منطقة بعيدة نسبيًا عن العمران، لدرجة أنني عندما طلبت وجبة عن طريق الديليفري من مطعم دجاج كنتاكي قالوا أنهم يمتنعون عن توصيل الطلبات لتلك المنطقة بعد السادسة مساء، هذا بالرغم من أننا وقتها كنا في الصيف حيث تغرب الشمس في السابعة مساءً!

ومع ذلك مرت على الأكاديمية فترات ليست قليلة كان عدد أفراد تأمينها نهارًا حوالى أربعة! وعدد أفراد تأمينها ليلاً ثلاثة فقط، وكل هذا لأن إدارة الأمن بالأكاديمية تريد أن توجد مبررًا للتخلص من شركة الأمن التي أصبحت ثقيلة الظل بالنسبة لهم وتستقدم شركة أخرى سيدفعون لها أكثر بكثير مما كانوا يدفعونه لشركة الأمن الأصلية، من خلال ابتكار طرق لمضايقة أفراد الأمن

فيمتنعون عن العمل فيقل العدد فيتم فسخ العقد!

ولم يضع أحدٌ في حسبانه أن المنشأة قد تتعرض بالفعل لهجوم ما في أحد أيام الفترة التي لم يكن لها فيها تأمين فعلى، وهو نفس نمط تفكير بعض موظفي بلدية مدينة نصر منذ بضعة عشر عامًا، عندما أرادوا الانتقام من سكان أحد شوارع المنطقة فقاموا بغلق محبس مياه الشرب وكسروا جزءًا فيه بحيث يصعب إصلاحه إلا بعد وقت طويل، فاندلع حريق في تلك الليلة ولم تجد عربات الإطفاء ماء لكى تطفئ به الحريق!

موقف الأكاديمية مع الشركة التي كنا نعمل بها يثبت أن كل من يمسك بزمام أمر من الأمور في مصر يعتبر أن الأمر هو عزبته الخاصة يتصرف فيها كيفما شاء حتى ولو تم تعريضها للخطر، وأن القرار الإداري غالبًا ما يكون مبنيا على انفعالات وليس بناء على دراسة وبيانات.

والنصف الثاني من هذا الكتاب جاء بالصدفة البحتة التي لم يكن معمولاً حسابها بالمرة، فإنني بعد مغادرتي الدراماتيكية لأكاديمية أخبار اليوم ظننت أن هذا الكتاب الجديد قد توقف نموه إلى أن أعود مرة ثانية بشكل ما إلى الأكاديمية وأستكمله من وحى كتاباتي من هناك، لكن لما تم توجيهي إلى الفيلا ٤٣٨ بالتجمع الخامس حيث مقر إحدى الشركات التي تقدم خدمات نوعية عبر الإنترنت، وجدت يدى تكتب من تلقاء نفسها، وتستكمل

في الفيلا ٤٣٨ ما بدأته في أكاديمية أخبار اليوم.

والصدفة التي تكلمت عنها ليست هي توجيهي إلى الفيلا ولكن من قابلتها في الفيلا وهى الأستاذة منى التي لا يقل عن نصف كلامي من وحى الفيلا عنها، وما لا يعرفه قارئي الكريم أنني في بادئ الأمر اضطررت لتغيير كل الأسماء التي وردت في هذا الكتاب واستبدلتها بأسماء مستعارة باستثناء اسم الأستاذة منى وابنها والأستاذ تمّام مشرف النظافة بأكاديمية أخبار اليوم، وأنني في بدايات وضع اللمسات النهائية للكتاب كنت قد أسميت الأستاذة منى باسم حركي ليس هو اسمها الحقيقي درءًا لمشاكل عاصفة حدثت لي ومشاكل أخرى محتملة قد تحدث لها، لكنني قد وجدت أن عدم ذكر اسمها مع عظيم فضائلها وكثير جمائلها هو نكران وجحود، كما أنه بالنسبة لي تزييف للحقيقة وكذب على القارئ زائدان عن الحد وأنا الذي عودت لساني وقلمي الصدق لدرجة أنني لا أستطيع الكذب وإن حاولت!

فذكرت اسمها وليحدث ما يحدث.

ثم تدريجيًا ومع مرور الوقت قمت بإعادة كل شيء إلى طبيعته وحقيقته.

اسمها له في وجداني رنين خاص منذ الصغر، فإنه اسم شقيقة لي ولدت وماتت قبل أن أولد أنا، ومنذ الصغر وحتى منتصف المرحلة الإعدادية كنت مصابًا بفوبيا الأماكن المظلمة وخاصة

المقابر المجاورة لبيتنا، وفى إحدى المرات شكوت لأمي خوفي هذا فقالت مطمئنة لي: " إخوتك معهم"، وأذكر أنها ذكرت اسم أختي منى تحديدُا، فاستقر في وجداني من يومها أن اسم منى قرين بالحماية والاحتواء والشعور بالأمان، وكم كانت الأستاذة منى التي كانت رئيستي المباشرة في العمل في الفيلا ٤٣٨ حنونة وعطوفة في تعاملها دون إخلال بمقتضيات العمل، بل لقد تشاجرنا مرتين بسبب مقتضيات العمل!

لكن الحقيقة أنها كانت حنونة جدا مما جعلني أحيا في حلم جميل من أحلام اليقظة: أن أختي الحقيقية منى لم تمت، وأنها موجودة في الواقع، وأن حنانها كان بلسمًا شافيًا من انكسارات كثيرة كانت مستقرة في الوجدان، وأنها ربتت على كتفي مواسية من أفاعيل اقترفتها أمّنا.

لكن لأن لكل حلم لحظة إفاقة، فقد جاءت اللحظة التي كنت أخشاها وانتهى عملي في الفيلا ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وبعد تلك التجربة أشهد وأبصم بأصابعي العشرة أن الأخت تاج على الرأس لا يراه ولا يعرف قيمته إلا من حُرم من تلك النعمة، هذا لمن لا يعرفون قيمة أخواتهم البنات، بل لعل الواحد فيهم يجد أخته منهمكة في الأعمال المنزلية بل وتنزلق أمامه أثناء العمل ثم يسألها في صفاقة عن ما هي فائدتها بالضبط في هذه الحياة!

وفى الفترة الزمنية التي كانت ما بين تركى لأكاديمية أخبار اليوم

والتحاقي بالعمل في الفيلا ٤٣٨ كنت قد كتبت أحد أكثر ما اعتز به مما كتبت طوال سنوات من الكتابة، ألا وهو مقال " أمهاتنا اللاتي في الشوارع"، والذي جاءت فكرته بعدما لفت نظري تواجد العديد من النساء العجائز في محيط مسجد الحصري بالسادس من أكتوبر يبعن أشياء بسيطة؛ لكي يكسبن منها جنيهات قليلة، فرقّ قلبي لهن وانتبهت إلى أن الظاهرة في تزايد واتساع، ومقالي هذا الذي جعلته أحد فصول هذا الكتاب هو شاهد على براءتي من جريمة عقوق الأم، نعم هناك مشاكل بيني وبين أمي لكنني لست أنا المذنب وإنما هي، بما هي عليه من حالة استثنائية بين الأمهات، جعلتها تحمل غلاً وحقداً غريبين تجاه ابنها الذي هو أنا، ولو كنت بالفعل عاقّاً لها لكنت عققت هؤلاء الأمهات الافتراضيات قبلها ومثلها.

كتابي هذا هو الثاني لي منذ أن عملت في مهنة الأمن منذ نحو عام مضى، سبقه كتاب:"حواديت مدينة الرحاب"، ومثلما كان الكتاب الأول يحمل تصحيحا للمفاهيم وردا للاعتبار لمهن عديدة يمتهنها قطاع ليس بالقليل من أبناء الشعب المصري، فإن هذا الكتاب الذي أضعه بين يد قارئي الكريم يبحر في اكتشاف غموض النفس البشرية خاصة نفسية الأنثى، ويحاول من خلال ذلك التوصل إلى حلول لمشاكل مجتمعية عامة، ولقد ساعدتني سعة أفق الأستاذة منى وقبولها الإجابة عن كل أسئلتي بأريحية واستفاضة إلى تجميع معلومات استخدمتها في كتابة خمسة فصول

من إجمالي أحد عشر فصلاً هي كل ما تحتويه دفتيّ الكتاب.

صحيح أن الأستاذة منى هي حالة خاصة نادرة من النفوس البشرية لا يقاس عليها، لكنها أيضا اكتشاف هام من الممكن التعلُّم واستنباط صنوف الحكمة منه.

فلو اعتبرناها "حالة" جديرة بالبحث والدراسة فهي تتمثل فيها حلول لمشاكل طائفية وقعت وستقع، وإن السبب الأساسي لوقوع تلك النوعية من المشاكل هو عدم نضج أفراد هذا المجتمع، عدم النضج هو سبب كل المشاكل عموما وليست المشاكل الطائفية وحدها، ولقد لخصتُ علاج المشاكل الطائفية بشكل عام في جملة واحدة في كتاب "حواديت مدينة الرحاب": إننا من الممكن أن نكون عقلاء إذا نوينا ذلك! وضع تحت عبارة "إذا نوينا ذلك" ما شئت من الخطوط، وضع تحت النون الدالة على المتكلمين " نا " والتي تدل على مسئولية الجميع وليست فئة واحدة فقط أيضا ما شئت من الخطوط.

وفى تلك "الحالة" تتمثل أيضًا حلول لمشاكل نائت بها البيوت ومحاكم الأسرة والمحاكم المدنية، فنحن أمام امرأة شابة تستطيع أن تدير جيدًا كل شيء متعلق بحياتها: بيتها ومسئولياتها فيه، علاقتها بأقارب زوجها خاصة أنهم ليسوا أقاربها، وقتها خارج دائرة العمل، ثم العمل نفسه ونجاحها فيه، ولقد قلت في فصل "أنماط من الإدارة" أن زوجها يحبها بعمق على الرغم من مرور

عشر سنوات على زواجهما، لكن الحقيقة أنها بسلوكها وأسلوبها في التعامل تستحق هذا الحب وأكثر، ولقد أثبتت أن المرأة هي التي بيدها سعادة البيت كله أو شقائه.

وكعادتي فى كل كتاباتي لم يخل هذا الكتاب من كلام فى الاقتصاد الذى هو هواية وعادة أن ينقلب كلامي فى أى مجال من المجالات إلى النظريات الاقتصادية والواقع الاقتصادي.

في هذا الكتاب سيجد القارئ مائدة جديدة عامرة بأطايب وأشهى الكلمات والأفكار، سيجدها سهلة التناول وبأسلوب ساخر ومسلّي كعادة كل كتاباتي، أضعها الآن بين يديه، ناصحًا له أن يبدأ تناولها بالترتيب من المقدمة وحتى آخر كلمة فيها و..

وأقول له كما قال أستاذنا العظيم فهمى هويدي لقارئه في نهاية مقدمة أحد كتبه: تفضل سيدي الكريم!

وليد العجمي

في فاقوس – شرقية

في ظهر يوم السبت ١٠/١٢/٢٠١٧

لنفهم هذا الكائن

(١)

منذ سنوات طويلة وأنا معنيٌّ في كتاباتي وكافة أعمالي الفكرية بمشكلة ارتفاع نسب الطلاق في المجتمع المصري، ولقد حاولت مرارًا وتكرارًا إيجاد حلول جذرية أو حتى مسكُنة لها، ودائما كنت واضعا نصب عينيَّ مقولة أستاذنا لمادة العلوم في الصف الثالث الإعدادي: "هن تركيبتهن هكذا، فمن كانت هناك مشكلة ما بينه وبين زوجته فليفهمها بهدوء طبيعة الموقف وطريقة حل المشكلة ".

وفى أحد أيام الامتحانات النظرية هنا – في أكاديمية أخبار اليوم– تتابعت الأفكار التي تثبت بحق أن معظم المشاكل الأسرية سببها سوء الفهم، وأننا لم نفهم جيدًا هذا الكائن بعد، ألا وهو: الأنثى.

(٢)

كلما دخلت إلى كافيتريا الأكاديمية وجدت في موقع استراتيجي تمامًا حيث الوضوح التام أمام كل داخل إلى الكافيتريا أو كل

خارج منها توجد "المصاصات" التي كنا نستخدمها في طفولتنا!

ولأنه لا يوجد أطفال في المرحلة الجامعية، فالأمر لا يحتاج لكثير من الذكاء أن من يشترين تلك المصاصات ومن طلبن من إدارة الكافيتريا توفيرها هن الطالبات، واللاتي متوسط أعمارهن عشرون عامًا.

المرأة هي طفلة كبيرة دائمًا وأبدًا، مهما كان مستوى تعليمها، أو كان سنها، أو كان مستواها المادي أو الاجتماعي، المرأة هي طفلة كبيرة، وها نحن أمام أحد مظاهر التعبير عن تلك الطفولة حتى في مرحلة الشباب: المصاصات.

ولأن والد كل امرأة مهما كان سنها هو أحب الرجال إلى قلبها طوال عمرها، لا ينافس حب أبيها في قلبها منافس ولو كان زوجها، فإن لذلك أسبابا موضوعية في مقدمتها أن أبيها دائمًا ما يعاملها كطفلة، مهما كبرت وتزوجت وأنجبت هي في نظره طفلة وستظل طفلة، وكل امرأة تحب تلك النقطة من أبيها، أنه دائمًا ما يعيشها في جو الطفولة ولا يخرجها منه، ولأن كل امرأة طوال حياتها الزوجية من بدايتها وحتى نهايتها تتوسم في زوجها نفس المعاملة التي كان يعاملها إياها أبوها على أساس أنها طفلة كبيرة، فهنا تكون بؤرة نشوء الخلافات الأسرية ومنبعها، فكل امرأة تتمنى من زوجها تدليل الطفولة، والتسامح والتغاضي عن الأخطاء الذي كانت تنعم به في الطفولة، ومراعاة المشاعر التي

كانت تحظى بها في الطفولة، فمن وجدت ذلك في بيتها الجديد فبها ونعمت، ومن لم تجد فأحست بالفارق بين حياتها القديمة والجديدة، فستكون هذه بداية المشاكل والخلافات التي غالبًا ما تتطور إلى ما لا يحمد عقباه وما يصعب السيطرة عليه، وكل ذلك بسبب أن زوجها لم يفهم أنها.. ما تزال طفلة.

(٣)

رأيت عاملة النظافة في ذلك المبنى الذي كنت أقوم بتأمينه خارجة من دورة المياه وبيدها عدد كبير من أقداح الشاي المغسولة لتوها، فقلت هذه فرصتي لأحصل على الماء الساخن لعمل كوب من الشاي من سخان المياه الموجود بذلك المكتب المتجهة هي إليه، وذلك بدلا من قطع مشوار إلى حيث السخان الخاص بالأمن والموجود عند بوابة الأكاديمية.

وبالفعل دخلت إلى مكتب المعيدات والمدرسات المساعدات واستأذنتهن في عمل كوب من الشاي فأذنّ لي بلياقة ظاهرة.

وأنا واقف بانتظار تسخين المياه قمت بعدّ الأقداح الموضوعة على المنضدة والمفترض أنها تخدم ثلاثة أفراد مثلا فوجدتها أحد عشرًا قدحًا!

وتكونت في ذهني في نفس اللحظة صورة "النيش" الذي لا يخلو

منه بيت جديد، والذي تنفق عليه أموال طائلة مع إنه لا لزوم له من الأساس، فكرة النيش هي نفس فكرة تلك الأقداح الزيادة عن العدد في ذلك المكتب.

والنيش في الاتفاقات التي تسبق كل زواج هو مطلب أنثوي في الأساس، هو مطلب العروسة الطامحة لا الطامعة، أو مطلب أمها حتى لا تكون ابنتها أقل من فلانة قريبتها، لكن لا أحد يفكر في جدوى وجود النيش من الأساس وإنفاق كل تلك الأموال عليه، وفتح باب الشر واسعًا لتضييع المال في ما لا لزوم له.

هذه طبيعة من طبائع المرأة لا فكاك منها، لكن هنا لابد من دور حيوي للرجال ولابد من كلمة لهم للسيطرة على هذا السفه وعلى كل سفه في إدارة التعاملات الزوجية.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل"، ومع أن الإمام أبا حنيفة قد أباح أن تزوج المرأة نفسها وبرأيه قد أخذ القانون المصري، لكن النص النبوي واضح في أنه لا ينعقد زواج بدون ولى، لابد من رجل يتولى هو إدارة كافة الاتفاقات التي تسبق مرحلة الزواج، والتي كثيرًا ما كان الفشل في إدارتها سببًا في خراب بيوت لا حصر لها، إذ إن كل فتاة تحلم ببيت زوجية فيه الكثير من الكماليات التي حقيقة لا لزوم لها، والنيش علامة على ذلك، والأقداح الكثيرة أيضا شاهدة على ذلك، لكن لابد من وجود الرجال وتدخلهم بحكمتهم وحزمهم

لضبط الأمور لصالح البيت الجديد والأسرة حديثة التكوين، والفتاة هي أحد طرفيها وأحد راكبي سفينتها.

(٤)

في نفس ذلك اليوم نشرت إحدى صديقات الواقع الافتراضي على الفيس بوك منشورًا ساخرًا ومازحًا تتكلم فيه عن عدم تواجد الزوجين معا في مكان واحد وسقف واحد وتأخذ رأينا في ذلك!

وساعتها علقت على المنشور قائلاً: إنني أرى عدم نوم الزوجين معا في نفس الغرفة إلا فقط ساعة اللقاء الزوجي، أما غير ذلك فلا، وانتظرت منها متابعة للنقاش لكن يبدو أنها قد استحييت من المتابعة، أما أنا فمؤمن تماما أن الله لا يستحي من الحق كما قال هو سبحانه.

في رأيي أن أحد أسباب ارتفاع نسب الطلاق في هذا المجتمع كثرة تواجد الزوجين معا في غرفة النوم، فإن الزوج قبل ارتباطه بزوجته كان دائما يراها أنيقة مهتمة بنفسها وهذا أحد أهم أسباب اختياره لها وارتباطه بها، أما داخل غرفة النوم فتتلاشى كافة صنوف الأناقة والاهتمام بالنفس من قبل المرأة، والنبي عليه الصلاة والسلام كان قد نبه إلى تلك القضية، فنهى الرجال عن طرق الأبواب على نسائهم في أوقات هن غير مستعدات فيها

لمقابلة أزواجهن، طبعا هذا النمط من التفكير قد يستغربه رجال هذا العصر الذين يظن الواحد فيهم أنه قد تألّه على بيته بمن فيه، لكن النبي عليه الصلاة والسلام كان من الفهم وبعد النظر بحيث نهى الرجال عن دخول بيوتهم ورؤية نسائهم في أوضاع وأشكال لا يسرهم رؤيتهن عليها، ونبه كذلك على إعطاء كل رجل الوقت والفرصة لزوجته لكى تقابله بالشكل والمنظر الذي يسره ويرضى عينه التي لابد ترى نساء أخريات خارج البيت في هيئات أجمل وأفضل من زوجته، مع أنه لو أعطى زوجته الفرصة لكى تظهر له بما تظهر عليه كل امرأة سائرة في الشارع أوظاهرة على شاشة التليفزيون لوجد ما يسره ولما أحس بالنقص الذي يتطور إلى خيانات على أشكال كثيرة.

في أحد أهم الكتب التي تكلمت عن العلاقة الزوجية وكيفية إدارتها وهو كتاب "تحفة العروس" لمحمود مهدى الاسطنبولي، ذكر فيها نصيحة أحد الحكماء لأحد الملوك:" لا تمعن في التفتيش في إحدى اثنتين: اللحم قبل طبخه، والمرأة في الفراش"، وهو يقصد الربط بين اللحم الذي نراه بعد طهيه شهيًا ذا رائحة جذابة خلافاً لحالته وهو نيء، وبين المرأة التي ليست في جميع أوقاتها تبدو جميلة جذابة، فهناك أوقات يستحسن فيها الابتعاد عنها وتجنبها تمامًا، وإلا فستتغير تمامًا الفكرة السائدة عنها في عيني زوجها، ويبدأ في ذهنه الشعور بالنقص بسبب أن هذه زوجته وليست سواها.

في رأيي إن أهم أسباب شيوع حالات الطلاق في مجتمعنا هو

أن الرجال لا يفهمون النساء حق الفهم، ولو توفر القليل منه لانخفضت نسب الطلاق في مجتمعنا، وأنا لا أبرّئ النساء تمامًا من المسئولية، لكن كل مشكلة حتمًا يستطيع الرجل احتواءها وحلها، وإلا لماذا جعل الله سبحانه عقدة النكاح بيد الرجال ولم يجعلها بيد النساء؟

كتاب في غير مكانه

(١)

كون أن اسم دار أخبار اليوم في عالم الصحافة مثل الجنيه الذهب هي في نظري مسألة مسلّمة، لا يختلف عليها اثنان، ولا ينتطح بسببها عنزان كما يقال!

هو اسم إن لم يكن ناصع البياض تمامًا، فهو الأكثر نصاعة في عالم الثقافة المصرية والوجدان المصري والتاريخ المصري الحديث، وليست فقط الصحافة المصرية، فمثلاً في الوقت الذي كان رئيس تحرير الأهرام هو أقرب المقربين إلى الزعيم الراحل جمال عبد الناصر وملهمه في سياساته القمعية الوائدة للحريات والمكممة للأفواه والقاطعة للألسن، كان مؤسس أخبار اليوم يقضى تسعة أعوام من عمره في السجن الحربي بسبب كلمة حق قالها في وجه سلطان جائر.

وعندما كان رؤساء تحرير الصحف القومية الأخرى في عهد الرئيس الأسبق حسنى مبارك يتسابقون إلى مباركة أي قرار أو حتى أية عطسة يعطسها، كان رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير أخبار

اليوم الأستاذ إبراهيم سعدة ينتقد الرئيس الأسبق علانية في بعض الأحيان، وأذكر أنه بدأ أحد مقالاته الأسبوعية بقوله:" أرجو ألا يقرأ الرئيس مبارك هذا المقال، لأن ما سأكتبه لن يعجبه "، وكان هذا سببا من أسباب الاحترام الذي كان يكنّه له الرئيس الأسبق والذي لم يستطع إخفاءه، كما لو كان هو التجسيد الواقعي لما ذكره الدكتور مصطفى محمود في مسرحيته الاسكندر الأكبر أن الإمبراطور كان يحترم من هو أقل تملقًا له من رجال حاشيته حسبما أذكر.

بل كانت أخبار اليوم هي أول صحيفة تُعنى بالمشروعات الخيرية، وقدمت القدوة لغيرها في هذا المجال.

ولن نطيل الحديث في تلك التفاصيل، لكن ما يهمنا التأكيد عليه هو أن اسم دار أخبار اليوم هو اسم مثل الجنيه الذهب قيمته عالية ولا يفقد تلك القيمة مهما نالت منه عوامل التعرية أو تقلبات الدهر.

لكن أثناء وقوفي متفحصًا للكتب التي تملأ أرفف مكتبة "قطاع الثقافة" والموجودة بأكاديمية أخبار اليوم بالسادس من أكتوبر، وقعت عيناي على العديد من الكتب التي ما كنت أظنها توجد في هذا المكان ولا على تلك الأرفف، نعم الكتب ليست من نشر دار أخبار اليوم، لكنها موجودة على أرفف إحدى مكتبات أخبار

اليوم، وقلت وقتها لأحد الزملاء: إن تلك الكتب قد وضعت في هذا المكان مخاطبة لغرائز هؤلاء الشباب الذين يدرسون في الأكاديمية.

(٢)

وجدت كتابًا بعنوان: " مذكرات نهد"، ومؤلفته على ما يبدو متأثرة بقصيدة " طفولة نهد" لنزار قباني، وعلى الرغم من أنني لم أقرأ قصيدة نزار تلك يوما ما بسبب أن الخطاب ظاهر من عنوانه أن القصيدة تنتمي أولاً وقبل كل شيء إلى ما يعرف بأدب الفراش! كلام ظاهره الأدب وحقيقته قلة الأدب! فإنني قد اشتريت نسخة من الكتاب من المكتبة وقرأته في جلسة واحدة، يهمني في ذلك الوقوف على حقيقة ما يُعرض على الناشئة الصغار من كتب ومؤلفات، ويهمني كذلك اسم دار أخبار اليوم التي أنا واحد من محبيها ومن المتأثرين بإشعاعها الثقافي منذ الصغر، ومع ذلك فالكاتبة هي حرة فيما تكتب وفى تأثرها بمن تريد، لكن وجود كتاب ما في إحدى مكتبات دار أخبار اليوم هو الذي يحتاج إلى ضوابط، وألا يكون الأمر مفتوحًا على مصراعيه بهذه الطريقة.

تقول الكاتبة في المقدمة التي جعلتها خاتمة، أي أن المقدمة هي آخر ما حوته دفتا الكتاب في أول مرة في حياتي أصادف شيئاً

كهذا، تقول الكاتبة:" لماذا مذكرات نهد؟ وبعيدا عن أي شيء، فهذا الكتاب يناقش العديد من القضايا التي تخص المرأة والطفل وبعض الأمراض المجتمعية، وهذا ليس إسفافًا، بل أضع دائرة الضوء على تلك المشكلات، لنجد لها حلولاً جذرية ونواجه آفات المجتمع، ولا ندفن رؤوسنا في الرمال ويؤكد المسئولون- كتبتها المسئولين بالمناسبة- أن المجتمع العربي سليم معافى، وما يزال تحت السيطرة ".

قلت: الحقيقة أن العنوان هو للتسويق عبر مخاطبة الغرائز ليس أكثر، فبالنسبة للطفل الذي كم من الجرائم ترتكب باسمه لم يرد ذكره أو التعرض له مطلقًا في ثنايا الكتاب إلا في صفحتين وعدة أسطر من إجمالي ما يزيد عن مائة وستين صفحة، والرواية الأولى من الكتاب - على سبيل المثال- لا يظهر منها شيء متعلق بقضايا المرأة أو بأية قضايا من أي نوع، مجرد كلام عن لمس النهود والإمساك بها في مرحلة المراهقة، ثم التقامها من قبل الأزواج أو من قبل الرضع في المراحل العمرية التالية، والرواية التي كتبت اسمها على غلاف الكتاب موحية للقارئ أنها رواية واحدة متماسكة، إذا به يجدها عدة روايات ليس بينها رابط محدد اللهم إلا الكلام في الجنس، حتى الكلام في الجنس خلت منه تقريبا رواية الفتاة التي هربت إلى إيطاليا.

كلام محشو قد يكون له قراء من نوعية معينة لكن يقينا ليسوا هم قراء أخبار اليوم، وقد يوضع على أرفف مكتبات أخرى على أساس أن كل فولة ولها كيال، لكن ثقة ليس مكانها أبدًا أرفف مكتبات أخبار اليوم.

(٣)

تعرضت الكاتبة لمكانة علماء الدين الذين هم على دينها كما يُفهم من اسمها، وكان الأمر متطورًا أو متهورًا لينال من مكانة من يتولى وكالة دار الإفتاء المصرية - أيا كان هو -، وقيل في حقه هذا الكلام نصًا: "كان الشيخ أحمد يسمع تلك الكلمات وقد أخذته لعالم الخيال وعقله يصور له كل ما قصته.. كان يراها صورًا حقيقية لقد اشتعل رغبة معها.. لقد سافر معها بخياله في كل ما قصته ورآه وترجمه عقله ".

هذا الكلام مكتوب بنصه في أحد الكتب التي توزعها دار أخبار اليوم من خلال مكتباتها، والكاتبة هي حرة في رأيها في علماء الدين وتصورها لمدى ورعهم وتقواهم ونضجهم أيضا، لكن ما كان ينبغي بحال أن يتلوث تاريخ دار أخبار اليوم في خدمة الدين الإسلامي بهذه الطريقة، خاصة أن من سيجدون كتابًا كهذا في مكتبات الدار ربما لا يعرفون أنها نفس الدار التي طبعت - وحدها دون شريك - تفسير الشيخ الشعراوي، وهى التي أنشأت

المشروع الثقافي الديني " مكتبة الشعراوي الإسلامية"، ونشرت في الآفاق ما لا يحصى من الكتب الإسلامية.

(٤)

ما يثير الغيظ من محتوى الكتاب بحق هو هذا التعميم الذي فيه، وكأن كل الفتيات تشعرن بالنهم لملامسة صدورهن، أو كأن كل الفتيات لديهن مشكلة ما مع هذا الجزء من أجسادهن، والأمر يشبه طريقة المخرج الأستاذ خالد يوسف في أفلامه، حيث وجهة نظره أن غرفة النوم هي من الواقع، فإن صورنا منها شيئاً كجزء من فيلم سينمائي فنحن إذن لم نتجاوز الواقع، لكن الحقيقة أنه اجتزاء مخل بحقيقة الواقع، فإن البيت الذي به غرفة للنوم به أيضًا غرفة للمعيشة، وبه صالة استقبال، وبه مطبخ وله مدخل وقد تحيط به حديقة ويحيط بالإثنين شارع أو أكثر من شارع، أي أن الواقع ليس بهذا الاجتزاء الذي يظهر في تلك النوعية من الأفلام، وكذلك فإن بناتنا لسن بهذا الشبق الذي يظهر من هذا الكتاب.

نعم كل البنات لديهن مشاعر وأحاسيس ورغبات، لكن كل شيء موضوع في سياقه ومحدود بضوابطه التربوية والدينية والعرفية التي اعتادها الناس، نعم هناك أخطاء تقع في كل يوم وكل ساعة لكنها ليست بكل هذا العموم الذي يظهر من هذا الكتاب.

(٥)

وأخيرًا:

أنا لا أحجر على فكر كاتبة الكتاب ولا أطالب بقصف قلمها، فمن يدرى.. ربما يأتي هذا الفكر يومًا ما بأشياء أجود من هذا الذي نراه بكثير، وربما يخط هذا القلم بعد حين أشياء نصفق لها إعجابًا، لكن ينبغي أولا أن ندرك نحن القراء وأن تدرك كاتبتنا أنها لم تهتد بعد للنبع الذي تستقى منه، وقد تعلمنا في بداية ممارستنا لمهنة النقاشة أن من يتعلم منذ البداية تعليمًا متسخاً يظل أداؤه دائمًا متسخاً طبقا لمصطلحات النقاشين، ثم اكتشفنا أن ذات المبدأ يحكم أي أداء في أي مجال، فإن كانت تتبنى فعلا قضايا المرأة فأمامها أكثر من مدرسة في ذلك تتعلم منها، منها المدرسة الإسلامية وقدوتها في ذلك قد تجدها عند الدكتورة سعاد صالح، ومنها المدرسة العلمانية وقدوتها قد تجدها عند المهندسة الشابة فاطمة ناعوت، التي نختلف معها حينا ونتفق معها أحيانًا.

وأؤكد على أنه لم يولد أحدنا وفى يده القلم، وإنما كل من أبدع لابد أنه قبل ذلك قد خبط خبطًا كثيرًا أو قليلاً حتى استقام له الأمر، هذا من حيث الكاتبة، أما من حيث الدار.. دار أخبار اليوم فهي في نظري أكبر بكثير جدًا من أن يوضع على أحد أرفف مكتباتها كتابًا بهذا المستوى ويتكلم في هذا الموضوع، وهذا هو سبب انسياب هذه الكلمات من قريحتي.

إيحاءات وتناقضات الصور المعلقة

(١)

اليوم هو عيد الفطر، وتوزيعتي في العمل وجهتني إلى تأمين مبنى قسم الهندسة الكهربية بأكاديمية أخبار اليوم وذلك لأول مرة منذ أن عملت بهذا المكان قبل حوالى سبعة أسابيع، ولما توجهت إلى الدور الرابع بالمبنى وجدت صورًا معلقة على جدران طرقة الدور الرابع لعلماء في الذرة وفى الكهرباء وفى الفيزياء عمومًا، ثم وجدت صورًا أخرى مماثلة معلقة على جدران طرقة الدور الثالث أيضًا، وبنظرة سريعة على تلك الصور وجدت أنها تنبعث منها إيحاءات ما، وأيضًا لا يخلو أمرها من تناقضات ما، وهو ما سنفصل فيه القول قليلاً في السطور التالية.

(٢)

وجدت صورة لنيلز بور أحد واضعي تصور لشكل الذرة وطبيعة مكوناتها، فعندما نتكلم مستهزئين عن شخص ما أنه اخترع الذرة، فأمامنا النموذج الواقعي لأحد من اخترعوا الذرة وهو نيلز بور، وللدقة والأمانة فالذرة لم يتم اختراعها ولكن تم اكتشاف وجودها، لكنني أستخدم لفظ الاختراع بدلاً من الاكتشاف على

سبيل المشاكلة اللغوية مع ما يستخدمه مجتمعنا من ألفاظ ليس إلا.

التناقض الصارخ هنا أن نيلز بور هذا قد تم سبه في الفصل ونحن في الصف الأول الثانوي عن طريق أستاذنا الذي كان يدرس لنا الكيمياء في الفصل، والذي كان قد قال عنه: الحمار بور!

تناقض غير معقول بين القيمة الحقيقية لهذا العالم الكبير وبين طبيعة تقديمه للناشئة الذين كنا منهم يومًا ما، وتلك الطبيعة التقديمية لهذا العالم ولغيره مسئول عنها أكثر من طرف: واضعو المناهج، ومسئولو التوجيه، والمدرسون، بل وكل من يستطيع أن يتناول كتابًا ما من كتب سنة دراسية ما ويقرأ محتواه وينتقد ما فيه.

نيلز بور أو (الحمار بور) قد اكتشفت وجوده الآن في المكانة التي يستحقها وسط علماء كبار غيروا مجرى الحياة ومصير الإنسانية.

(٣)

الصور المعلقة في الدورين الثالث والرابع عددها تحديدا أربعون صورة لعلماء أشخاص، وإلا فهناك صورة مثلا لأول ترانزستور تم اختراعه، لكن ما يهمنا هنا هي صور الأشخاص، والصور الأربعون كلها مكتوب تحت كل منها اسم صاحبها هذا العالم

أو ذاك وتاريخ ميلاده وتاريخ وفاته، إلا صورة واحدة فقط للعالم العظيم ألبرت أينشتاين لم يكتبوا فيها لا تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته وذلك على الرغم من إنه توجد صورة أخرى له في الدور الثالث مكتوب فيها التواريخ، لكن لنظل في وقفتنا أمام صورة الدور الرابع متأملين فيها، فإنه قد وقع في قلبي أن سبب عدم كتابة تاريخ ولادة أو وفاة أينشتاين هي الدلالة على أن حياة ذلك العالم العظيم هي حياة ممتدة حتى وإن وارى الثرى جسده، فحياته ممتدة بما تركه للناس من علم، وبما أحدث من ثورة في الفكر العالمي بما أرساه من مبدأ نسبية كل شيء في هذا الكون سوى وجود الله، ونظرية النسبية سواء الخاصة أو العامة ليست منحصرة فقط في الشق الرياضي أو الفيزيائي، ففيها جوانب فلسفية عميقة لا يمكن تجاهلها أو تجاوزها كما قال الدكتور مصطفى محمود في مقدمة كتابه "أينشتاين والنسبية"، وبهذا يكون أينشتاين بحق من أعظم العقول التي أنجبتها البشرية على مر العصور.

وبالرغم من ذلك فصورة أينشتاين موضوعة أسفل صورة الإيطالي إنريكو فيرمى مخترع أول مفاعل نووي في التاريخ، وهو تناقض غير مقبول، نعم فرمى هو أول من أجرى تفاعلاً نوويا في التاريخ وأول من أنشا مفاعلاً نوويا لكى يتم فيه ذلك التفاعل، فأنشأ بذلك تاريخاً جديدًا وفتح فتحًا جديدًا، لكنه أقل عظمة بكثير جدًا من أينشتاين، لأنه في الحقيقة لم يفعل شيئاً سوى تنفيذ بعض أفكار أينشتاين وتحويلها إلى واقع، كما أنه ترك وطنه إيطاليا لكى ينفذ

أفكاره ويحقق طموحاته في أمريكا بما أسفر عن امتلاك أمريكا للقنبلة الذرية وقتل الأمريكان لعشرات الملايين بتلك النوعية من القنابل، لكن أينشتاين لم يترك وطنه ألمانيا سريعًا رغم الاضطهاد الذي عانى منه كيهودي في زمن النازي والذي أسفر في النهاية عن استسلامه للأمر الواقع وهروبه إلى أمريكا في أواخر حياته إبان الحرب العالمية الثانية، وبالفعل كان قد أهدى علمه إلى بلده ألمانيا التي لم تستفد منه بقدر اللصوص الأمريكان الذين سرقوا هذا العلم واستفادوا به في صناعة القنبلة الذرية.

وأنا لا أنقص فيرمى حقه خاصة أن الأمريكي مايكل هارت مؤلف كتاب "المائة" الذي ترجمه الأستاذ أنيس منصور إلى العربية تحت اسم: "الخالدون مائة أعظمهم محمد"، مايكل هارت قد وضع فيرمى ضمن قائمة المائة تلك بما أضافه إلى العلم وإلى الواقع المعاش، لكن الفكرة فقط في أنه ليس أعظم من أينشتاين مطلقاً، وما قدمه للبشرية ليس أهم أبدًا مما قدمه أينشتاين.

المثير في صورة أينشتاين هو ظهوره مرتديًا حلة أو بدلة حسب التعبير الدارج، مع أنه في العقود الأخيرة من حياته لم يكن يرتدى الحلل ولم يكن يهتم بمظهره إطلاقاً، وهو ما أشرت إليه في فصل:" للعباقرة فقط لا ترتدوا البدل" من كتابي " مذكرات طور سيناء "، أينشتاين لم يكن يرتدى الحلل بعدما نضج فكره وزاد علمه أصبح عالما بحق، وإنما ملابس عادية تماما ليس فيها أي تميز أو رفاهية،

لأنه يبدو أن تلك العقلية كانت منشغلة فقط بالعلم والجوهر دون المظهر.

(٤)

وكل الصور المعلقة تخلو تمامًا من أي عالم عربي أو مسلم، كلهم غربيون من أوروبا تحديدًا ماعدا ثلاثة من الأمريكان، ثلاثة فقط من الأمريكان من ضمن أربعين صورة معلقة على الرغم من أن بعضها مكرر وليست لأربعين شخصية مختلفة، وهذا ما يجعل سؤالين يطرحان نفسيهما على مائدة المناقشة:

- لماذا ثلاثة فقط من الأمريكيين مع أن أمريكا هي سيدة العالم منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم، إما مشاركة مع غيرها وإما منفردة وحدها؟

- ولماذا لا يوجد عربي أو مسلم واحد ضمن هذه القائمة؟

فبالنسبة للسؤال الأول: فإن الرقم الضئيل للعلماء الأمريكيين يجسد حقيقة أن الحضارة الأمريكية - إن صحت التسمية - لم تقم على أكتاف الأمريكيين وإنما على أكتاف المهاجرين إلى أمريكا من كافة جنسيات العالم، المهاجرون إلى أمريكا هم من صنعوا حضارتها، كما أن أوروبا التي منها جل العلماء أصحاب تلك الصور المعلقة هي أعرق وأقدم بمراحل من أمريكا، والسابق

في التاريخ سابق في العلم أيضًا، وما زلت أذكر تلك العبارة التي قالتها الأستاذة نتيلة راشد أو "ماما لبنى" التي كانت رئيسة لتحرير مجلة سمير إبان طفولتنا: إن عمر دار الهلال التي تصدر عنها مجلة سمير هو ١٠٠ سنة، وإن عمر أمريكا كلها مائتا سنة!

وبالنسبة للسؤال الثاني: فإن العلماء العرب لم يساهموا بقوة في الحضارة الحديثة المعاصرة إلا بعدما اتسع نطاق هجرتهم إلى الغرب ممثلاً في أوروبا وأمريكا، العلماء العرب في أوطانهم لم يكونوا ليستطيعوا النبوغ وبلادهم تحت نير الاحتلال الذي كان يهدف دائمًا لتجفيف منابع الإبداع والنبوغ في الدول التي يحتلها، حتى إذا اندحر الاحتلال أمام حركات المقاومة الشعبية في البلاد العربية والإسلامية فإنه قد ترك بديلاً له في تلك البلاد ممثلاً في الاستبداد السياسي في تلك الدول، استبداد يحكم تلك الدول بما يراعى مصالح الدول المحتلة التي خرجت ظاهريًا وبقيت عمليًا، وفى ظل الاستبداد وجد العلماء أن الهجرة إلى الغرب أرحم كثيرًا من البقاء في ظل الاستبداد، فكان الكثير ممن أضافوا إلى الحضارة الغربية الحديثة من العرب والمسلمين.

ومع ذلك لا أدرى كيف فات من علقوا تلك الصور في أماكنها أن يعلقوا صورة للدكتور مصطفى مشرفة مثلا، أو لتلميذته الدكتورة سميرة موسى مثلا، والتي سبقت بعقلها عقول علماء الذرة في العالم أجمع بما فكرت فيه من إمكانية شطر ذرات العناصر الرخيصة كالألومنيوم واستخراج الطاقة منها.

وهذا التناقض الأخير يجرنا إلى تناقض آخر مضحك بعض الشيء: أن اسم مبنى الهندسة الكهربية والذي يقع في أكاديمية أخبار اليوم راعية اللغة العربية منذ نشأتها هو C ضمن سلسلة حروف هجائية إنجليزية وليست عربية!

مع الصور المعلقة مرة أخرى

(١)

مع تكرار عملي في المبنى C بالأكاديمية، تكرر أيضًا وقوفي متأملاً أمام صور علماء الفيزياء بصفة عامة، ومنبهرًا متعجبًا أمام صورة أينشتاين بصفة خاصة وقد أخذت صورة "سيلفى" مع صورته بالفعل! إذ إنه يبدو أن ثمة شبه إجماع على وصف عقل أينشتاين بالتفرد والجبروت! عقل جبار بالفعل وكأننا حين نتكلم عنه نكون لسنا واثقين تمامًا من بشريته الكاملة، فقد يكون أينشتاين هذا بعقليته تلك جنًا في شكل إنسان!

وما يهمني هنا في كلامي عن نظرتي المتأملة للصور المعلقة بمبنى سي هي فلسفيات أعمال بعض هؤلاء العلماء، فما قدموه في المجال العلمي البحت قد قُتل بحثا ودراسة، أما الجانب الفلسفي المتعلق بكل منهم فهو الذي ما يزال يحتاج إلى الكثير من الدراسة والبحث والمناقشة، وإنني إذ أتكلم في هذا الجانب فإنني أنطلق في كلامي هذا من هذه المنطلقات الثلاثة:

أولا: أنه في الحقيقة لا يخلو الجانب العلمي لأي من هؤلاء العلماء

أصحاب تلك الصور المعلقة من جانب فلسفي ما، وأنه توجد نقاط تقاطع بين الفلسفة والفيزياء، والفلسفة والكيمياء، والفلسفة وشتى العلوم النظرية أو التطبيقية، وأن الفلسفة التي هي في أبسط مفاهيمها وتعريفاتها هي "الحكمة" هي جزء من الدنيا، فالفيزياء هي الدنيا كلها كما يقول الواقع وكما كان يقول لنا أحد أساتذتنا في الفيزياء في الصف الثالث الثانوي.

ثانيا: من يقرأ البطاقة التعريفية لجاليليو والمعلقة ضمن بطاقات تعريفية كثيرة له ولغيره من العلماء سيجد أنه مكتوب فيها أنه فيلسوف وليس فقط مجرد صانع لأول تليسكوب، وأنه قد اجتهد في العمل على فكرة أرسطو والتي قال أرسطو بموجبها أن الأجسام الثقيلة تصل إلى الأرض أولاً وقبل الأجسام الأخف وزنًا منها في حالة السقوط الحر، بينما كانت بداية نقض تلك الفكرة الصادرة عن أرسطو هي جهود جاليليو الذي كان نصفه فيلسوفًا ونصفه الآخر فيزيائي.

ثالثا: أن التاريخ شاهد على توظيف نظريات علمية بحتة توظيفا فلسفيًا وسياسيًا أيضًا، لنأخذ مثلاً ما قاله الأستاذ محمد قطب في كتابه القيم:"مذاهب فكرية معاصرة " عن أن الإنتاج العلمي لكل من داروين وإيميل دوركايم وعالم ثالث لا أذكره قد تم توظيفه في سياق إفساد العقلية الأوروبية وإبعادها عن دينها وتحطيم عقيدتها.

إذن لنتكلم عن فلسفيات ثلاثة من هؤلاء العلماء المعلقة صورهم على حوائط مبنى الهندسة الكهربية والمعروف بمبنى سى، وبالطبع سيكون أينشتاين واحدًا منهم.

(٢)

مخطئ من يظن أن قيمة إسحق نيوتن تتمثل فقط في ملاحظته لتلك التفاحة التي سقطت عليه والتي كانت بداية لجهوده العلمية التي نتج عنها فهم أعمق للقوانين التي تسير بموجبها عناصر الطبيعة.

لنفتح سويا كتاب "المائة" الذي ألفه الأمريكي مايكل هارت والذي كان يعمل بوكالة ناسا الأمريكية، والذي ترجمه – أي الكتاب– الأستاذ أنيس منصور تحت اسم "الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم "، يقول المؤلف في افتتاحية الكتاب أن الذي دفعه لتأليف كتابه هذا هو ما حدث في ندوة كان قد حضرها الفيلسوف الفرنسي فولتير في بريطانيا، وكان موضوع تلك الندوة هو: " من هو الأعظم: الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر أو القائد الإغريقي الإسكندر الأكبر أو القائد المغولي تيمور لنك أو الزعيم البريطاني كرومويل؟ وكان الرد على هذا السؤال أن قال أحد المتناقشين: بل أعظم الجميع العالم الرياضي البريطاني إسحق نيوتن.

وكان رد فولتير: فعلا نيوتن أعظم.. لأنه يحكم عقولنا بالمنطق والصدق, وهؤلاء يستعبدون عقولنا بالعنف, ولذلك فهو يستحق عظيم الاحترام ". انتهى ما قاله الأستاذ أنيس منصور.

إن القيمة الكبرى لنيوتن ليست في تجاربه واكتشافاته وقوانينه بقدر ما هي في المنهج الذي أرساه، وعملت به الأجيال من بعده في كل العالم، أن الحقيقة لا تعتبر حقيقة بدون دليل وبدون برهان، وأن ما يتم فرضه على الناس فرضًا ليس من الحقيقة في شيء، وإلا لتمت البرهنة عليه منذ البداية بدلاً من فرضه على الناس.

المثير بحق هو ما عاينته بنفسى من خلال تعاملي مع خلفاء نيوتن ومع خلفاء هؤلاء العسكريين والقادة الذين تم ذكرهم في الندوة التي حضرها فولتير، وفى هذا بعض القصص القصيرة المتسلسلة المترابطة التي تصب في قالب واحد وكلها بالمناسبة لها علاقة بإعدادي للشاي الخاص بي:

- في بدايات عملي بالأكاديمية وتحديدا في مبنى قسم الصحافة لاحظت أن عمال النظافة البسطاء يدخلون إلى مكتب رئيسة القسم ويحصلون من هناك على الماء الساخن اللازم لإعدادهم لأكواب الشاي الخاصة بهم، فجربت أن أدخل أنا أيضًا إلى مكتب رئيسة القسم وأن أطلب ماء ساخنًا لعمل الشاي الخاص بي مثلما يفعل عمال النظافة، حيث لا أحد أفضل من أحد!

وبالرغم من تواجد ضيوف عند الأستاذة الدكتورة رئيسة القسم وقتها إلا أنها ضغطت بنفسها زر تشغيل سخان المياه، ثم رفعت

بنفسها الغلاية من على الأرض إلى فوق مكتبها ثم قامت بصب الشاي لي بنفسها.

- ومن قرؤوا الفصل الأسبق "لنفهم هذا الكائن" قد مر عليهم موقف مشابه من عضوات هيئة التدريس بقسم علوم الحاسب بالأكاديمية, لكن ما لم أذكره في المقال السابق أنه قد تكرر دخولي إلى ذلك المكتب طالبا ماء ساخنا لعمل الشاي, وفى تلك المرة الثانية كانت الموافقة بأريحية أكبر وترحيب أشد مع الإشارة إلى وجود سكر وشاي في المكتب إن لم يكن معى سكر وشاي خاصين بي.

- في نفس المبنى المعلقة به الصور وهو مبنى قسم الهندسة الكهربية دخلت إلى مكتب المعيدين والمدرسين المساعدين طالبًا ماء ساخنا لعمل الشاي، فلم يختلف رد فعل أحدهم عن ردود الأفعال السابقة، لكن لما ذهبت إليهم مرة ثانية في نفس اليوم أعطاني "أحد خلفاء نيوتن" زجاجة صغيرة لكى أملؤها بالمياه لأن الكمية الموجودة في الغلاية لن تكفى لعمل الشاي، والملاحظ أنه طلب منى ملء زجاجة صغيرة تكفى لعمل الشاي الخاص بي ولم يطلب منى ملء زجاجة أكبر لكى يعمل هو أيضًا شايًا خاصًا به من خلالها، فالأمر كان تعاونيًا وليس تسلطيًا أو استغلاليًا، وأثناء انتظار غليان المياه كنت جالسًا مستريحًا على أحد مقاعد خلفاء نيوتن في تلك القاعة بناء على طلب ذلك الدكتور الذي لم يتركني واقفًا تلك الدقائق القليلة!

- ولما انتقلت للعمل في مبنى الهندسة الميكانيكية لم يختلف الأمر

إلا في كمية الترحيب التي لاقيتها, فالدكتور الذي طلبت منه ماء ساخنًا من الغلاية الموجودة بمكتبه استكثر أن آتى لمكتبه ومعى السكر والشاي الخاصين بي وأن الأولى من وجهة نظره أن ألقم قدح الشاي من الخامات الموجودة بمكتبه, ثم قام بصب الماء الساخن بنفسه وتقليب الشاي بنفسه، وإعطائي باكو بسكويت محشو! واللافت للنظر أنه عندما أعطاني قدح الشاي بعد تقليبه أمسكه هو من جدرانه الساخنة بينما قام بتوجيه يد القدح ناحيتي لكى أمسك القدح من خلالها.

هذه نماذج من تعاملات خلفاء وأحفاد نيوتن مع العبد الفقير إلى الله، فماذا كانت تعاملات أحفاد وخلفاء الآخرين الذين تم ذكرهم في ندوة فولتير معى أيضًا؟ سنأخذ مثالا دالاً من تعامل واحد منهم معى، فإنه في توقيت ليس بعيدا عن توقيت الشاي الذي ملأت زجاجته جاء هذا النموذج لكى يتوضأ وفى نفس الوقت لكى يحاول اصطياد أي خطأ لي كعادته المشهورة عنه حيث حقيقة لم أسمع كلمة واحدة تثنى عليه طوال مدة وجودى بالأكاديمية! وبعد أيام جاء مرة ثانية ليتوضأ وضوءه لصلاة الظهر وتعمد طرطشة المياه التي تبلل يده الملوثة بعد استخدامه للحمام على يدىّ اللتين غسلتهما تواً بالصابون ومعهما قدح الشاي أيضا رغبة في تلويثه وتلويثهما!

ووقتها تساءلت نفس التساؤل الذي طرحه منذ عقود مؤسس تلك الدار – دار أخبار اليوم– عن قيمة تلك الصلاة التي يؤديها من يرتكب الموبقات ثم بعد ذلك يكبّر ويشرع في الصلاة!

فالأستاذ مصطفى أمين قد ذكر في كتابه "سنة أولى سجن" ذلك الرجل الذي كان يقوم بتعذيب الناس ثم يفرش سجادة الصلاة ويصلي!! ونحن الآن أمام من يقوم بإيذاء الناس من خلال وضوئه الذي سيدخل به في الصلاة!

وهكذا هو الفارق بين كل من يحمل في رأسه علما فيخاطب به عقول الناس وقلوبهم ويحترم عقلياتهم ولا يتكبر عليهم، وبين من يمسك بزمام سلطة لابد أنه سينحرف بها عاجلاً أو آجلاً.

ولهذا كان منطقيًا تمامًا اعتبار نيوتن أعظم من كل القادة والسياسيين في التاريخ لأنه أوجد منهجًا لامتلاك العقول والقلوب من خلال الدليل والبرهان وليس من خلال السلطة وممارستها، بل لقد وضعه مؤلف الكتاب الذي ذكرته آنفا في المرتبة الثانية مباشرة بعد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وقبل جميع شخصيات التاريخ القديم والحديث ومنهم علماء وأنبياء هو نفسه يتبع واحدًا منهم وهو المسيح عليه السلام.

(٣)

ثاني الشخصيات التي لها صور معلقة والتي أريد الكلام عنها فلسفيًا لا علميًا هو أينشتاين، أينشتاين يستحق بلا شك كل الألقاب التي أطلقت عليه من أنه أعظم علماء القرن العشرين دون منازع، وأنه صاحب عقل جبار مذهل.

وتتبدى فلسفة نظرياته - ليست نظرية واحدة في الحقيقة- في بندين إثنين: أولهما أن أي عمل بشرى مهما كانت عظمته إلا أنه قابل للنقاش وللأخذ والرد, ولهذا كان من أهم وأعظم أعمال أينشتاين أنه فجأة خرج على علماء العالم قائلا لهم: إن قوانين نيوتن التي سادت العلم لقرون هي لا تسرى إلا على سطح الكرة الأرضية وداخل الغلاف الجوى للأرض، أما خارج ذلك النطاق فقوانين نيوتن لا تحكمه وإنما تحكمه قوانين النسبية.

وبالطبع كان كلامه صادمًا ومستغربًا بل ومستهجنًا من المفتونين بنيوتن، لكن قد اتضح أنه كان على صواب، لكن كيف ومن أين علم هذا بالرغم من أنه عاش ومات سنة ١٩٥٥ بينما أول سفينة فضاء هبطت على سطح القمر كانت سنة ١٩٦٩؟

هنا تأتى الاحتمالات العديدة التي منها أنه كان مخاويًا للجن!

فقد عرف حقيقة قوانين الطبيعة خارج الغلاف الجوى للأرض بينما هو على سطح الأرض لم يغادرها، والأهم أنه قد نقض قوانين نيوتن!

وثانيهما: إقرار مبدأ نسبية كل شيء، لا شيء مطلق في هذه الحياة مهما ظنناه كذلك وإنما هو مطلق بالنسبة لنا وهو غير ذلك بالنسبة لغيرنا.

العسل طعمه حلو بالنسبة لنا لكنه غير ذلك بالنسبة لدودة المش

مثلا.

اللون الأحمر هو أحمر بالنسبة لنا ولأعينا لكنه في الحقيقة وبالنسبة لمنظور تحليل الضوء هو غير ذلك!

النجوم التي نراها في السماء كل ليلة هي نجوم لامعة بالنسبة لنا لكن الحقيقة أنها انفجرت أو تحولت لثقوب سوداء منذ أزمنة بعيدة.

كل هذا عبر عنه الدكتور مصطفى محمود بأنه انهيار لما كان يظنه الناس قديمًا يقينًا علميًا، فصار اليوم على يد أينشتاين شيئاً نسبيًا مشكوكًا فيه.

ولو كانت فلسفة نظرية النسبية لأينشتاين قد انتشرت مثل النظرية نفسها لكان قد توقف الاستبداد وحكم الشعوب بالحديد والنار في معظم دول العالم، لان السبب الأساسي للاستبداد الظن بامتلاك الحقيقة وامتلاك الصواب.

ولو كان الجانب الفلسفي لنظريات وأفكار أينشتاين قد انتشر انتشار الجانب العلمي لتلك النظريات والأفكار لكانت قد توقفت الحروب الدينية في العالم، لأن التطرف الديني سببه الجوهري اليقين الكاذب بالكون على صواب مطلق وكون المخالف على خطأ مطلق.

ولهذا فمن المعروف عن أينشتاين أنه كان يهوديا وطُلب منه تولى

منصب أول رئيس لدولة إسرائيل، لكنه كان رافضًا أن يكون صهيونيًا.

(٤)

وثالث تلك الشخصيات من أصحاب الصور المعلقة بذلك المبنى هي شخصية توماس أديسون، وهذا الرجل هو أعظم المخترعين في التاريخ، أو هو تحديدًا أعظم مخترع في التاريخ، حيث أنه المخترع الوحيد الذي اخترع اختراعات بلغت من كثرتها احتياجها لملعب كرة قدم كبير لكى يستوعبها جميعًا!

الفلسفة التي تهمنا في توماس أديسون هي قدرته على صنع النجاح من الفشل وصنع الشربات من الفسيخ!

فتوماس أديسون في طفولته كان يعتبره أساتذته في مراحل التعليم الأولى بليدا ليس له مستقبل في التعليم!

تماما كما كان أساتذة الدكتور مصطفى محمود في المرحلة الابتدائية يعتبرونه بليدا وليس له مستقبل في التعليم!

فأصبح الأول مخترعًا لألف من الاختراعات وأصبح الثاني أحد أهم مفكري القرن العشرين في المنطقة العربية.

السؤال الذي يلح عليّ كلما تجولت بين تلك الصور في مبنى

الهندسة الكهربية أو في مبنى الهندسة الميكانيكية هو: لماذا لم يضعوا صورة لألفريد نوبل مخترع الديناميت ثم الجلانجيت الأشد فتكًا؟

أليس تناقضًا غريبًا أن نقول على العشرات من العلماء أصحاب تلك الصور أن كل منهم قد حصل على جائزة نوبل بينما نحن لا نذكر نوبل – ذات نفسه!– بكلمة واحدة؟

ثم – والسؤال موجه الآن لعلماء ومهندسي الميكانيكا: متى نستفيد من انفجارات المواد شديدة الانفجار كالديناميت في إنتاج طاقة حركية بينما قد مرت عقود على بدء الاستفادة من انفجار الذرة داخل المفاعل النووي في إنتاج طاقة كهربية، ومر قرنان على بدء الاستفادة من انفجارات نقاط سوائل الوقود داخل المحركات، ومرت قرون على بدء الاستفادة من انفجار البارود داخل الأسلحة؟

ليتنا مثل أمريكا

(١)

حتى سنوات قليلة مضت كنت لا أعرف كثيرًا ولا قليلاً عن الدكتور جلال أمين، حتى استضافه يسرى فودة في إحدى حلقات برنامجه الذي كان يقدمه على أون تي في: آخر كلام، ولفت نظري كم الحفاوة التي قابله بها يسرى فودة في تلك الحلقة، والتي كانت شبيهة بالحفاوة التي قابل بها يسرى الأستاذ فاروق شوشة في حلقة أخرى في نفس تلك الفترة الزمنية، حيث -وبدون مبالغة- كاد يسرى أن يحمل الأستاذ فاروق شوشة من على الأرض ساعتها! فعرفت أن الدكتور جلال أمين هذا له من العظمة ما للأستاذ فاروق شوشة، وعرفت أيضا أن من أهم مؤلفاته كتاب "ماذا حدث للمصريين؟"، والذي قمت بتحميل نسخة بي دى إف منه وقرأت معظمه وقتها.

وبالرغم من أن الكتاب في مجمله يتسم بالإنصاف في الاستنتاج والدقة في الطرح، ناهيك عن عنصري التشويق والجاذبية لدرجة أنني قرأت معظمه في ساعة سحر بعد تيقظي من النوم في إحدى الليالي، لكنني كنت قد توقفت في قبول مقارنته التي قارن فيها بين حال أمه وبين حالة ابنته، حيث ظهر أنه يريد الانتصار لابنته على حساب دقة الطرح، فبالرغم من أنه يرى أن ابنته هي

أكثر نشاطا وقدرة على العمل وبذل الجهد، لكن قد فاته أن أمه كانت تقوم بشكل كامل على خدمة أسرة مكونة من عشرة أفراد دون كلل أو ملل، ولم يكن لديها حتى فرن الميكروييف المتاح لابنته التي تقوم على خدمة أسرة مكونة من ثلاثة أفراد فقط هي واحدة منهم بالإضافة إلى زوجها وابنها الرضيع!

واليوم قد وقع في يدى بالصدفة مقال جديد له في الأهرام اليومي، حيث كنت قد اقترضت الجريدة من الأستاذ تمّام مشرف النظافة بالأكاديمية، وكان وجودى في ذلك المبنى هو أيضا صدفة نتيجة "لغلاسة" أحد مشرفي الأمن بالأكاديمية!

المقال كتبه الدكتور جلال أمين وعنونه بطريقة مشابهة لكتابه السالف الذكر، حيث كان عنوان المقال: ماذا حدث لنمط الحياة الأمريكية؟

ولأنني أيضًا قد توقفت في قبول فكرته أن نمط الحياة الأمريكي لم يعد بذلك القبول ولا بتلك الجاذبية حول العالم، فقد جلست لكتابة هذا المقال الجديد.

(٢)

بداية ينبغي أن نتفق على حقيقتين أظنهما لا يختلف عليهما اثنان:

الأولى: أن أمريكا الآن ومنذ عقود مضت هي أعظم دولة في العالم، هذه هي الحقيقة سواء قبلناها أم جادلنا فيها، نعم الاقتصاد الياباني يناطح الاقتصاد الأمريكي، لكن اليابان ليس لديها ذلك الجيش الجبار الجرار الذي تمتلكه أمريكا، ونعم الاقتصاد الصيني يناطح هو الآخر الاقتصاد الأمريكي، والصين لديها جيش قوى تعمل له أمريكا ألف حساب، لكن الصين ليس فيها تلك الحريات التي في أمريكا بلد الحريات، ونعم روسيا تمتلك الكثير من الموارد والإمكانات، لكن المحصلة أنها أقل بكثير مما عليه أمريكا، وحتى بريطانيا التي كانت فيما سبق الدولة التي لا تغيب عنها الشمس، هي منذ سنوات ليست قليلة مجرد تابع لأمريكا، أمريكا هي أعظم دولة في العالم بالفعل، والعالم كله ينظر إليها على أنها كذلك، بل لعل عكس ما يقوله أستاذنا الدكتور جلال أمين هو الذي حدث، أنه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق وسيادة عصر القطب الواحد، بدأ نمط الحياة الأمريكي وكل ما هو مستورد من أمريكا في الانتشار أكثر وأكثر، وبدأ عصر العولمة أو عصر القطب الأوحد.

والحقيقة الثانية: أنه ليس كل الناس يعرفون حقيقة الواقع الأمريكي حق المعرفة، قد يكون روجيه جارودي -أو رجاء جارودي كما سمى نفسه بعد إسلامه- محقا في طرحه أن أمريكا هي طليعة الانحطاط، وقد يكون الخوميني مصيبا في أن أمريكا هي الشيطان

الأكبر! لكن أستاذتنا مها عبد الفتاح مراسلة أخبار اليوم من واشنطن لسنوات طويلة أكدت على حقيقة أن من هم خارج أمريكا لا يعرفون أمريكا جيدا، وتكلمت في ذلك في موضعين:

الموضع الأول: إبان أزمة بيل كلينتون ومونيكا لوينسكي، قالت الأستاذة مها والأزمة في بدايتها وعلى أشدها أن كل ما يحدث هو مجرد دخان في الهواء، وأن من يظنون أن كلينتون سوف يتم عزله هم لا يعرفون أمريكا، وبالفعل قد صدقت الأيام حدسها.

والموضع الثاني في أحد مقالاتها عن الشعب الأمريكي، أنه مختلف جذريا عن السياسة الأمريكية المكروهة حول العالم، وقالت ضمن ما قالت أن الشعب الأمريكي شعب ودود محب للشعوب الأخرى، وأنه مقبل على الحياة ويحب أن يغترف من طيباتها وملذاتها، وأنه شعب يحب "الأكل" جدا!

إذن عندما نتكلم عن أمريكا ونحن خارجها ينبغي ألا نغفل هاتين الحقيقتين: أن أمريكا كانت وما تزال وستظل هي أعظم دولة في العالم، وأن الجنة الأمريكية هي منتهى أحلام الراغبين في الهجرة حول العالم، والحقيقة الثانية أن أكثر من يتكلمون عن أمريكا لا يعرفون بدقة حقيقة الواقع الأمريكي.

إذن ما الذي عند أمريكا ونتمناه لأنفسنا عملاً بنصف مقولة الدكتور طه حسين في دعوته للاقتداء بالغرب حلوه دون مره، ما

يستحسن منه وليس ما يعاب؟

إليكم التفاصيل.

(٣)

أولا: هناك منشور طريف يتم نشره كل فترة على الفيس بوك، يقول أنه إن كان قارئ هذا المنشور يأكل ثلاث وجبات يوميًا فهو أحسن حالاً من نصف سكان العالم تقريبا لا أذكر النسبة تحديدًا! وأنه إن كان لديه حمام في بيته فليقبّل يديه وجهًا وظهرًا، فإن نصف سكان الهند - يعني ما يقرب من المليار إلا ربعًا ليست لديهم مراحيض في بيوتهم!

أمريكا مختلفة عن كل هذا بصفتها مجتمع الوفرة ودولة الوفرة، نعم هي دولة رأسمالية لكن رأسماليتها ليست متوحشة كما نراها في مصر مثلا، فأفراد المجتمع العاديون لهم حقوق على الأغنياء وميسوري الحال ولهم حقوق على حكوماتهم كذلك، وتلك الحقوق تساهم في خلق مجتمع الوفرة، الذي يجد فيه كل فرد ما يكفيه وما يطمح إليه، ولهذا لم نسمع أبدا عن مجاعة أو أزمة في سلعة غذائية معينة حدثت في أمريكا، بل عندما تدمر الأعاصير مساحات شاسعة من المناطق السكنية لا تستجدى أمريكا العالم من حولها لكى يبعث لها ببطاطين مستعملة وسلع استهلاكية لإطعام الأفواه الجائعة، بل تتولى أمريكا بنفسها لملمة جراحها

واستعادة توازنها لأنها نموذج لمجتمع الوفرة.

وعندما كتبت أحد أهم ما كتبته في حياتي كلها وهو مشروع تصدير القمح المصري، كنت قد أشرت إلى نقطة الوفرة في المجتمع الأمريكي، حيث أن أحد أسباب وجود فائض لديهم من محصول القمح الذي يصدرونه إلينا أن قطاعات واسعة من الأمريكيين يعتبرون القمح طعام الفقراء ولهذا فهم لا يقبلون على استهلاكه!

نعم هم ليسوا كلهم أغنياء، وليسوا كلهم في مستوى معيشة المواطن الكويتي مثلا والذي يعيش كالملوك كما قال ذلك اللص الذي أصبح رئيسا لأمريكا في غفلة من الزمن! لكن يندر وجود متسول أمريكي أو جائع أمريكي أو عار أمريكي، وهذا هو مجتمع الوفرة الذي ننشده.

(٤)

ثانيا: أمريكا هي دولة الحريات وقبلة الحريات في العالم، ففي أمريكا يستطيع أي مواطن أمريكي مراسلة الرئيس الأمريكي ومخاطبته بأية ألفاظ يريدها، وفى التسعينيات لو نذكر تكلمت "أخبار اليوم" عن السيدة المصرية المقيمة في أمريكا والتي بعثت بخطاب إلى الرئيس الأمريكي بيل كلينتون بادئة كلامها بقولها: "أي رئيس أنت؟" واستخدمت من الألفاظ أغلظها وأعنفها، فإذا بالرئيس الأمريكي يرد عليها برسالة أخرى فيها ما فيها من الألفاظ الرقيقة

والأدلة المقنعة على سلامة موقفه كرئيس لأمريكا وكقائد للسياسة الأمريكية.

ووقتها كتب أكثر من واحد من كتّاب الأخبار عن أن رئيس أمريكا يهتم برسالة إحدى المقيمات في أمريكا ويرد عليها بنفسه، بينما لو بعث أحدهم - أي الكتاب المصريون- برسالة إلى رئيس مجلس مدينة في مصر فلن يرد عليه، هذا إن قرأ الرسالة أصلا!

لا يوجد بلد في العالم كله فيه من الحريات مثل ما في أمريكا أبدا.

وهذا ثاني ما نتمناه لأنفسنا ومجتمعنا، أن يتوافر لدينا ولو الحد المعقول من الحريات، بحيث نفكر كيفما نشاء ونتكلم كيفما نحب، ونرى مقولة الأستاذ مفيد فوزي حقيقة على أرض الواقع وليست كذبا: الناس في بلادي ما عادوا يتهامسون!

(٥)

ثالثا: أمريكا هي قمة احترام الحكومات لمواطنيها، ومن قرأ مقدمة كتابي "حواديت مدينة الرحاب" سيجد أنني أثنيت على مجتمع مدينة الرحاب في أن رأس السلطة فيه هو المواطن العادي وهو ما يشابه الواقع الأمريكي وغيره من الديمقراطيات العريقة والراسخة، لنأخذ مثلا تلك المقارنة الطريفة التي يتم نشرها على الفيس بوك من وقت لآخر بين جواز السفر المصري المكتوب عليه:"في

حالة فقدان هذا الجواز سوف تدفع كذا!"، وبين جواز السفر الأمريكي المكتوب عليه:"هذا الجواز يحميك فوق أية أرض وتحت أية سماء! "، أي أن كل من يحمل جوازًا أمريكيًا هو في حماية أمريكا في أي مكان في العالم حتى ولو كانت أكثر الدول عداء لأمريكا، وهذا ما جسده الفن في الفيلم الممتع:"عسل أسود"، حيث أن من يعتبرون أنفسهم في مصر أسيادًا للبلد وهى الأجهزة الأمنية ظهروا قليلي الحيلة تمامًا أمام ذلك الجواز الأمريكي الذي يحمله الفنان أحمد حلمي، لأن ثمة دولة تحترم مواطنيها ولديها الاستعداد لتحريك مقاتلاتها وبوارجها من أجل ذلك المواطن.

بل لنا هنا في الواقع المصري نموذج دال، وهو الشاب محمد صلاح سلطان الذي تم اعتقاله في عام ٢٠١٣ واحتجازه على خلفية اتهامات معلبة ومعروفة سلفًا، وظهر أن محنة محمد صلاح سلطان لن تنكشف ومشكلته لن تحل أبدًا، حتى تمت مخاطبة السلطات الأمريكية بأن محمد صلاح سلطان هو مواطن أمريكي لأنه مولود في أمريكا، هنا فقط توقفت كل الإجراءات التعسفية ضد محمد صلاح سلطان، وفى لحظة نادرة نسى القضاء المصري استقلاله! ونسيت الحكومة المصرية عنجهيتها! ونسيت مصر كلها أنها دولة حرة ذات سيادة، وكل هذا لما تم تذكُّر أن محمد صلاح سلطان يحمل الجنسية الأمريكية!

(٦)

لـن أطيـل في سـرد مواصفـات و"نعم" الجنـة الأمريكيـة، فالحـريات الواسـعة هـي وحدهـا جنـة لمـن يحيـا فيهـا في أي مـكان، ولنقـارن ذلـك بالتضييـق الدائـم المفـرط على الحريات في معظـم أرجـاء العالم، حتى أن أحـد أعـداد سلسـلة عـالم المعرفـة الكويتية كان بعنـوان أزمـة الحريات في عالمنا العربي.

لكـن مـا أريـد التأكيـد عليـه وإيصالـه إلى القـارئ الكـريم أن نمـط الحيـاة الأمريكـي مـا يـزال نجمـه لامعًـا بقـوة، خلافًـا للطـرح الـذي طرحه أستاذنا الدكتور جلال أمين، ولنا في ذلـك اضطـرار الرئيس الأمريكـي الجديـد –مـا زلـت مصـرا على أنـه لـص جـاء إلى رئاسـة أمريكا في غفلـة مـن الزمـن– قـد اضطـر إلى الشـروع في بنـاء جـدار عـازل بـين أمريـكا والمكسـيك لكـى يحـد مـن أعـداد المهاجريـن المكسيكيين الطامعين في دخول الجنة الأمريكية، ولنا في ذلك أيضًا انتشـار العلامـات التجاريـة الأمريكيـة حـول العـالم حـتى في داخـل موسـكو معقـل الشـيوعية والـتي بهـا الآن فـروع لمطاعـم ماكدونالـدز الأمريكية، والعبد لله قد أصبح منذ فترة أحد زبائن تلك المطاعم الأمريكية خاصة أن موظفة خدمة العملاء التي ردت عليّ بشياكة كانـت مصريـة، وموظـف التوصيـل كان أيضـا مصريًا، وهـو شـيء يحسب لذكاء تلك المؤسسات الأمريكية المتواجدة على أرضنا وفى بلدنا وكل بلدان العالم: أنها لا تُشعر سكان تلك الدول بأنها جزءٌ من غزو ثقافي أو تهديدٌ للهوية، وإنما هم جزء من النسيج الأصلي لكل بلد على حده حتى ولو كان الأصل أمريكيا!

عن النفوس الحلوة أتحدث

(١)

بالأمس وأثناء مروري على السيارات الواقفة خارج الفيلا ٤٣٨ والمملوكة لموظفين داخل تلك الفيلا، ناداني عمال نظافة الشوارع الذين كانوا يجلسون على رصيف فيلا أخرى تبعد عن المكان الذي كنت واقفا فيه بحوالي خمسين مترًا، نادوني لكى أتناول معهم الإفطار، دون سابق معرفة ودون أي جميل سابق أسديته لهم، خاصة أن هؤلاء البسطاء يتوقون دائمًا للبقشيش الذي يعطيه لهم من يبدون مثلى أنهم أولاد ناس! وأنا لم أعطهم شيئاً من قبل بالرغم من الحُلة الأنيقة التي أرتديها!

وبعد فترة عدت للمرور على السيارات التي مررت عليها من قبل، فكرر عمال النظافة دعوتهم لي لتناول الإفطار معهم بإلحاح أكبر ومن نفس تلك المسافة البعيدة نسبيا، فتذكرت وقتها المصطلح الذي تكوّن في وجداني منذ صغرى وهو:"النفس الحلوة"، والمصطلح هو عربي فصيح بامتياز على الرغم من تداوله باللهجة العامية، ووجدت أيضًا تطبيقًا عمليًا لما قاله الدكتور مصطفى محمود في كتابه "المسيح الدجال" عن أنه في لحظة الاختيار الحر قد يكون العبد سيدا في أفعاله، فإن عمال النظافة البسطاء هم

في نظري أكثر كرمًا وأعلى في مستوى الأخلاق من غيرهم من أصحاب الملايين.

(٢)

في النصف الثاني من ثمانينيات القرن العشرين تكوّن أول تصور لي لمصطلح "النفس الحلوة"، حيث كان أخي الأكبر قد أخذني للعمل معه في النقاشة في فترة الإجازة الصيفية، أناوله شيئاً حينًا وألعب حينًا آخر! وفى تلك الفترة كانت هناك مباراة هامة للمنتخب الكروي، وأذكر أن تلك المباراة كان سيترتب على فوزنا فيها الصعود لبطولة ما أو للدور الأعلى في تصفيات ما، وأننا نحتاج فيها لهدف واحد فقط نخرج به فائزين، وكان الخطيب غائبًا عن المشهد بالرغم من أنه لم يكن قد اعتزل وقتها، وما أثار أعصاب الناس كثيرًا أن جمال عبد الحميد أضاع فرصًا جملةً وقطاعي، وكانت واحدة فقط من تلك الفرص كفيلة بإسعاد الشعب المصري وقتها، وقبل نهاية المباراة بثوان احتسب الحكم ضربة حرة مباشرة بجوار خط ال١٨ مباشرة لصالح منتخب مصر، وفى سرعة البرق اختطف طاهر أبو زيد الكرة لكى يسددها هو ويأمرها فتطيعه كعادته في الضربات الثابتة آنذاك، أي أننا أمام هدف الفوز بشكل شبه مضمون، ومع ذلك طلب منه جمال عبد الحميد أن يسدد هو الكرة فتركها له بنفس راضية، لعل جمال

عبد الحميد يصلح ما أفسده طوال المباراة، لكنه أضاعها أيضا! وفى صبيحة اليوم التالي قال أحد الذين كنت أعمل معهم في النقاشة وكان يكبرني بسنوات قليلة: "طاهر أبو زيد نفسه حلوة"، فكان أول فهم لي لمصطلح النفس الحلوة أننا نترك ما نحب لأجل الآخرين.

وفي سنوات الدراسة الإعدادية فهمت أكثر معنى النفس الحلوة، فإيليا أبو ماضي قال في إحدى قصائده التي درسناها:

أيها الشاكي ومــــا بك داء -- كيف تغدو إذا غدوت عليلاً؟

إن شر الجناة في الأرض نفسٌ -- تتوقى قبل الرحيل الرحيـــــلاً.

وترى الشوك في الورود وتعمى -- أن ترى فوقها النـدى إكليلاً.

والذي نفسه بغير جمـــــــال -- لا يرى في الوجود شيئا جميلا.

إيليا أبو ماضي هنا يقرر حقيقة ما، أن جمال النفوس هو الذي يجعل أصحابها يرون كل جميل في هذه الحياة، وأن النفس التي لا تتمتع بهذا الجمال لن ترى جمالاً في أي شيء حتى ولو كان جميلاً بالفعل، وهو ما يتماشى مع ما قاله لي الشاب المسيحي الذي ذكرته في كتابي:"مذكرات خمس سنوات في وادي النطرون"، أنني رأيت خطه جميلاً لأن عيناي هي التي تتمتع بالجمال!

وفي قصيدة "يا ابنتي" يقول الشاعر:

يا ابنتي إن أردت آية حسن -- وجمالاً يزين جسمًا وعقـــلاً.

فانبذي عادة التبرج نبـــذاً -- فجمال النفوس أسمى وأعلى.

يصنع الصانعون وردًا ولكن -- وردة الروض لا تضارع شكلاً.

الشاعر هنا ينصح ابنته ومن سار سيرها أن تهتم بالجمال الداخلى، جمال الفكر والمعتقد، وجمال الأخلاق والتدين، والجمال الطبيعى وليس جمال المساحيق والأصباغ، ويشبّه هذا الجمال بجمال الورد البلدي الطبيعي، الذي مهما صنع الصانعون وردًا صناعيًا فإنه لن يضاهيه لا في مستوى جماله ولا في رائحته ولا في تأثيره.

(٣)

وفي محيط العمل الذي أنا فيه صادفت ألوانًا من جمال النفوس.

ففي أول التحاقي بالعمل سمعت عن موظف اسمه محمد كامبا علمت فيما بعد أنه أحد عمال البوفيه والنظافة ومندوب للشركة في مهام خارجية أيضا، ولما جاء محمد كامبا بعد ثلاثة أيام غاب فيها عن العمل اتضحت أمارات نفسه الحلوة، إذ إنني لما طلبت من موظفة الاستقبال الأستاذة منى الهاتف المحمول الخاص بالشركة لكى أجرى منه مكالمة مجانية لن أدفع ثمنها خاصة بعد ارتفاع أسعار كروت الشحن، سارع هو إلى إعطائي هاتفه

المحمول لكى أُجرى المكالمة منه على الرغم من عدم وجود سابق معرفة بيني وبينه، وبعد أيام وأثناء وجودى في بوفيه الشركة لتناول طعام الغذاء، سارع محمد كامبا إلى إخراج زجاجة الزيت من هنا والليمون من هناك وعلّمني كيف أعد طبق فول فاخر من خلال الاستفادة مما هو موجود في البوفيه من خامات كنت غافلا عنها، واتضح فيما بعد أن زجاجة الزيت لم تأت على حساب الشركة وإنما على حسابه هو، ومع ذلك سارع إلى إخباري بأن الزجاجة جاءت على حساب الشركة لكى يزيل عنى أي شعور بالحرج.

والأستاذة منى أيضا لها العديد من المواقف التي تدرجها ضمن النفوس الحلوة، وذلك على الرغم من أنها عمليا ترأسني أنا وزميلي في حراسة الفيلا، فإن زميلي هذا في إحدى الليالي قد قام بكسر "ريش" المروحة الموجودة بالبوفيه إهمالاً واستهتارًا، وأخبر الأستاذة منى بذلك في اليوم التالي، وتوقعتُ منها تهديده بالويل والثبور وعظائم الأمور وأن ثمن المروحة بالكامل سيتم خصمه من راتبه كما تفعل أي شركة في موقف كهذا!

لكنها قالت في هدوء أنها ستشرح ما حدث للمدير المالي وأنه سيمرر الموقف ولن يقف عنده، وهذا ما حدث بالفعل، ويومها قلت لزميلي هذا: "لقد اتضح من الرد الذي ردت به منى عليك أنها "جدعة"! "، واكتشفنا أنها تستحق مستوى أعلى من التعامل

منا، على أساس أنها شقيقة لنا وليست فقط زميلة أو رئيسة في العمل.

(٤)

من أكثر الأعمال الدرامية التي تجلّت فيها النفوس الحلوة هو مسلسل: لن أعيش في جلباب أبى، ومن منّا ينسى الحاج إبراهيم سردينة الذي كان يبغض الظلم والتجبر على الرغم من أنه كبير التجار في السوق، ويحنو على البسيط المعدم، ويغيث الملهوف، ويعرف الواجب والأصول، ويعفو عن الزلات، ويقدم المبادئ على المصالح.

الحاج إبراهيم سردينة هو التجسيد الدقيق والكامل والعصري لمصطلح النفس الحلوة.

والحاج إبراهيم سردينة بأخلاقه ونمط شخصيته هو أقرب إلى الله سبحانه بمراحل من الصائمين للدهر والقائمين الليل.

وفي نفس المسلسل تجلت شخصية "عبد الغفور البرعي" الشاب الأمين المجتهد الذي صنع نفسه بنفسه وبمساعدة الحاج إبراهيم سردينة أيضًا، ولما نجح وكبر ماليًا واجتماعيًا لم ينس ماضيه ولم يتكبر على الناس، ولعل مشهده وهو يشترى بضاعة لا يحتاجها

من زميله السابق قديمًا ويعطيه مقابلها مبلغًا سخيًا هو أكثر تأثيرًا من عشرات بل مئات من الخطب المنبرية التي تحثّ على الصدقة والإنفاق في سبيل الله وابتغاء مرضاته.

(٥)

ورسالة الأديان جميعًا هي جعل نفوس الناس حلوة، لكن عبقرية الإسلام في هذا المجال تتجلى في واقعيته التي اعترف رجل الأعمال المصري نجيب ساويرس بإعجابه بها في لقاء له على قناة بي بي سي العربية منذ سنوات.

الإسلام لم يفعل مثلما فعل بوذا بأن دعا أتباعه لعدم إيذاء البعوض وهو يلسعهم!

والإسلام لم يبالغ في المثالية مثلما بالغت دعوة المسيح عليه السلام لأتباعه: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، ومن سرق قميصك فأعطه إزارك.

ولهذا فقد فعل هذا الفصام بين المبدأ النظري والواقع العملي فعله في نفوس أتباعه، فنرى البوذيين الآن يقترفون المذابح البشعة بحق المسلمين فرارًا من تلك المثالية غير المعقولة التي دعاهم إليها بوذا.

ورأينا أن أكثر الدماء التي سُفكت في التاريخ سفكها مسيحيون بحق بعضهم البعض وبحق غيرهم أيضًا!

يكفى أنه في الحرب العالمية الثانية مات ستين مليونًا من البشر ثلثهم من ألمانيا وحدها على أيدى مسيحيين على نفس ديانتهم.

أما مفهوم النفس الحلوة في الإسلام فهو مفهوم واقعي قابل للتطبيق فعلا، يقول سبحانه في نهاية سورة النحل:" وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين "، فالنص القرآني لا يجبر أتباعه على العفو تاركًا لهم في حالة من الغليان الداخلي لأنهم لم يأخذوا حقوقهم، بل يخيرهم بين الصبر طواعية وليس إجبارا انتظارًا لما عند الله ولجزيل عطائه، أو أن يأخذوا حقوقهم بمثل ما اعتُدى عليهم به سواء بسواء دون زيادة، فتكون النتيجة سلامة صدر المسلم واتزانه النفسى نتيجة لهذا التخيير.

والنبي عليه الصلاة والسلام ينقل إلينا هذا الخبر المثير:" حُرّم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس"

أي أن من يتسم بتلك الصفات فهو محرم على النار حتى وإن طلبته النار وبالغت في الطلب!

حتى وإن قصر في بعض العبادات أو فعل بعض الطاعات.

فإنه يكفيه أن الله سبحانه سيعامله يوم أن يلقاه بما كان هو يعامل به الناس من سلاسة المعاملة: يعفو عنهم، ولا يتتبع زلاتهم ولا

يتكبر عليهم، وكل هذا يندرج تحت معنى "هين لين قريب من الناس".

ولهذا ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام أيضا خبر ذلك الرجل الذي كان يقرض الناس ويتجاوز عن المعسر منهم، فتجاوز الله عنه يوم أن انتقل إلى جواره دون أن ينظر في باقي تفاصيل عمله، هو يتجاوز عن الناس إذن فسيتجاوز الله عنه.

والأمثلة العملية من حياة النبي عليه الصلاة والسلام والدالة على نفسه الحلوة تفوق الحصر، لكن يهمني منها ثلاثة أمثلة بالغة الدلالة:

الأول: أنه كانت أي فتاة صغيرة من فتيات المدينة تأخذه من يده ويسير معها كيفما سارت في شوارع المدينة دون أن يسألها إلى أين نحن ذاهبون!

والثاني: أنه لما طلب منه أحد المعتنقين حديثًا للإسلام مبلغًا من المال، فأعطاه غنما كثيرة جدا لدرجة أن أحد الرواة قال أنها تسُد ما بين جبلين! فطار عقل ذلك الرجل بسبب هذا الكرم المذهل، وذهب إلى قومه قائلا: جئتكم من عند من يعطى عطاءً من لا يخشى الفقر!

والثالث: أنه لما اتضحت خيانة سيدنا حاطب ابن أبى بلتعة، وتصارع الصحابة على طلب الإذن بقتله ومنهم الفاروق عمر بن

الخطاب، منعهم النبي من ذلك، وأعطى لسيدنا حاطب فرصة ثانية لكى يتوب عما فعل، بل وأعطاه وساما شرفيا لم يكن يتناسب مع هذا الموقف المخزي والمهين الذي كان فيه سيدنا حاطب بأن قال: لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

وسيدنا حاطب كان ممن شهد بدرا.

(٦)

إن النفوس الحلوة تعيش في حالة من راحة البال والسلام النفسى، تعيش سعادة حقيقية في حين يبحث غيرهم عن السعادة فلا يجدونها ولا يعرفون سبيلها، وهو ما جسّده أحدهم برفعه لشعار كتبه على صفحته على الفيس بوك: متصالح مع نفسى..!

وإن أخطر أمراضنا المجتمعية الآن بحق وأكبر مسببات مشاكلنا الحياتية أن نفوسنا لم تعد حلوة كما كانت قديمًا، وأنه بالرغم من أن الدنيا ما تزال بخير لكن خيرها قد قل، وعندما ننوى ونقرر أن نعود كما كنّا وكما كانت الأجيال السابقة لنا، فحتمًا سنلمس تغييرا حقيقيًا في حياتنا، فالله سبحانه قال في سورة الأعراف:" ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ".

وصدق من قال ساخرًا تعقيبا عما قالته ياسمين الخيام –هي الآن الحاجة أو الدكتورة ياسمين الحصري– في أغنية لها:" يا رب كتر أفراحنا وعلى قد نيتنا ادينا"، قال: ليتها ما قالت الجملة الثانية، فإن كل ما نعانيه هو بسبب الاستجابة لدعائها أن يعطينا الله على قدر نياتنا!

والنفوس الحلوة لها امتدادات أخرى

الأستاذة منى زميلتنا أو رئيستنا في العمل في الفيلا ٤٣٨ بالتجمع الخامس هي إحدى النفوس الحلوة التي كنت قد تكلمت عنها وذكرتها بالاسم في المقال قبل السابق: "عن النفوس الحلوة أتحدث"، لكن لما تناقشنا في الأسبوع الماضي وأجابت عن الكثير من الأسئلة منّي عن حياتها الشخصية قد اتضحت لي حقائق أخرى خافية، ينبغي أن نُفرد لها سطورًا مستقلة نظرًا لأهميتها، فإننا لا نبالغ إن قلنا أن الأستاذة منى هذه اكتشاف وعثور على شيء كنا نبحث عنه طويلاً نحن مثقفي ومفكري هذا المجتمع، وإليكم التفاصيل.

(١)

في كتابات سابقة –وبخاصة في الفصل الخامس من هذا الكتاب– كنت قد تعرضت للمقارنة الطريفة التي عقدها عالم الاجتماع المصري الكبير الدكتور جلال أمين في كتابه الهام: ماذا حدث للمصريين، وهذا الكتاب في نظري ينبغي على كل مثقف مصري أن يقرأه مرة على الأقل كل عام، لكى يعرف التطورات والتغيرات

التي حدثت في المجتمع المصري خلال نصف قرن من الزمان، ويتعلم أيضا كيف يتابع ويرصد المزيد من التغيرات والتطورات التي تحدث كل يوم.

الدكتور جلال أمين في فصل "مركز المرأة" عقد مقارنة بين الوضع الذي كانت عليه أمه وبين الوضع الذي عليه ابنته الزوجة الشابة والأم لطفل واحد صغير، ورأيي في مقارنته تلك لم ولن يتغير أنه أراد بها مجاملة ابنته على حساب القياسات الصحيحة، وإلا فإن أمه كان أداؤها كزوجة وأم وأنثى أفضل بكثير من ابنته التي لا تعتني إلا بثلاثة أفراد فقط هم زوجها وابنها الصغير وهى نفسها! أما أمّ الدكتور جلال فكانت تقوم على خدمة عشرة أفراد يسدون عين الشمس! ثمانية منهم أبناء وبالأب والأم يكتمل العدد عشرة، ولم يكن متاحا لها تلك الوسائل المريحة والحديثة المتوفرة لابنته - ابنة الدكتور جلال أمين- ولا للأستاذة منى التي أفردنا هذه السطور للحديث عنها.

فوجه الشبه بين حالة ابنة الدكتور جلال أمين وبين الأستاذة منى أن كلا منهما تقوم بمجهودات كثيرة، وهذا في حد ذاته ليس اختراعًا وليست بطولة، إذ إن أمهات الزمن الجميل كن يقمن بأضعاف تلك المجهودات، بل إن أمهات هذه الأيام يبدو أنهن لسن بتلك الاحترافية في التربية كما كانت أمهات الزمن الجميل، والتربية في أبسط تعريفاتها هي زرع القيم والمفاهيم، وليست هي " التزغيط"! وأمامنا نموذج من إحدى زميلات الأستاذة منى وأقرب

صديقاتها إليها في محيط العمل، والتي لم تفلح في إقناع ابنيها اللذين في المرحلة الابتدائية ببديهية أن كرة القدم لعبة جماعية، وأن كرة واحدة فقط تكفيهما، بل وتكفى فصلهما الدراسي بالكامل إذا أخذا الكرة معهما إلى المدرسة في حصة الألعاب، واضطرت لشراء كرة لكل واحد منهما.

لكن الاختراع والبطولة هي في النفوس الحلوة التي تحيط بالأستاذة منى، والذين هم الأبطال الحقيقيون أو الجنود المجهولون الذين يقفون وراءها ويساعدونها لكى تقوم بكل تلك المجهودات: في العمل وفى البيت.

(٢)

الأستاذة منى تعمل خمسة أيام في الأسبوع بدءاً من الأحد وحتى الخميس، والعمل جاد ليست فيه مرقعة المصالح الحكومية التي يأتي موظفوها متأخرين يوم الأحد بحجة أنه أول الأسبوع وينصرفون مبكرين يوم الخميس بحجة أنه آخر الأسبوع!

ولأنها ليس لديها وقت فإنها تقوم بطبخ طبخة واحدة فقط متعددة الأصناف وبكميات تكفى لخمسة أيام كاملة، تطبخ بنفسها دون الاستعانة بشغالة تطبخ لها على الرغم من أنها حتى شهرين مضيا كانت من سكان مدينة الرحاب، أي أنها تستطيع لو أرادت أن

تأتى بشغالة، ويُحمد لزوجها نفسه الراضية أنه يأكل طعامًا منزليًا غير طازج ويتم تسخينه وذلك لخمسة أيام في الأسبوع من الأحد وحتى الخميس، إذ إن عملية طبخ هذا الطعام تتم يوم السبت!

صحيح أنها لديها فرن ميكروييف في بيتها، وهو ما يساعدها في جعل طعامها هي وزوجها يبدو طازجًا وحديث الإعداد، لكن هذا لا يغير من طبيعته خاصة من الناحية النفسية لمن يتناولونه.

وابنها الطفل الصغير ذو الستة أعوام يتحمل هو أيضا غيابها عنه لإحدى عشرة ساعة يوميًا خمسة أيام أسبوعيًا، أي أنه خمسة أيام كل أسبوع لا يراها سوى ساعتين مثلا خلال الأربع والعشرين ساعة، وهو الذي تعوّد منها على مشاركتها له في كل أنشطته، لدرجة أنها تقف له حارسة للمرمى لكى يسدد عليها الكرة على الرغم من أنها لا تفهم أصلاً في الكرة!

أين يكون ابنها إذن في تلك الفترة؟ يكون عند حماتها التي تسكن على بعد عدة كيلومترات منها، وحماها هي الذي يصطحبها معه – أي الأستاذة منى – في سيارته وهو ذاهب لعمله ويوصلها إلى مكان عملها، ثم يعود في آخر النهار لاصطحابها مرة ثانية من مكان عملها إلى بيته هو لكى تأخذ ابنها ثم يقوم بتوصيلها إلى بيتها!

وقد لاحظتُ أن اتجاهه وهو عائد لاصطحابها آخر النهار ليس عكس اتجاهه وهو قادم بها صباحًا، وهذا معناه أنه يأتي خصيصًا

آخر النهار لأخذها من مكان عملها وليس مرورًا عليها وهو راجع من عمله.

وفي الإجازة الأسبوعية يومي الجمعة والسبت تقضى الأسرة الصغيرة المكونة من ثلاثة أفراد اليوم الأول وهو الجمعة في بيت والد الأستاذة منى، ويقضون اليوم الثاني وهو يوم السبت في بيت حماها وحماتها.

هل لاحظتم شيئاً؟ أو.. هل تودون أن تسألوا سؤالاً خبيثًا ما؟!

نعم لا توجد مشاحنات ولا مشاجرات بين والديَّ زوجها من ناحية وبينها أو بين والديها من ناحية أخرى بسبب أن اليوم الأول للإجازة الأسبوعية مخصص لبيت أبيها تقضيه هناك هي وزوجها وابنها، وأنه لا ذكر هنا للتفكير السائد من أن من خُصص له اليوم الثاني وليس الأول هو موضوع على الهامش وأنه هو الفائض كما يقال! بل وما يصاحب ذلك من اتهامات للزوج من قبل والديه بعدم الرجولة! بل وعدم التقدير لكل تلك الجهود التي يبذلها حماها وحماتها لمساعدتها في إنجاز أعمالها الوظيفية والمنزلية معًا، خاصة أن الوقت الذي تقوم فيه الأستاذة منى بطبخ طبيخ الأسبوع كله يتم استقطاعه من اليوم الذي تقضيه الأسرة الصغيرة عند والديَّ زوجها.

لنقارن هذا الوضع وهذه الروح التي تسود التعامل بين جميع الأطراف بالمخازي التي تحدث في التعاملات بين الأصهار

المسلمين، وبالمناسبة أنا نسيت إخبار قرائي الكرام أن الأستاذة منى مسيحية الديانة، نعود لكلامنا عن أننا كمسلمين كان ينبغي أن تحكمنا هذه الروح وهذا الأسلوب المتعقل في التعامل، بدلا من الأرقام الفلكية التي تنفجر بها أروقة المحاكم في طول البلاد وعرضها بسبب أزواج وأقاربهم وزوجات وعائلاتهن فشلوا جميعا في إدارة العلاقة فيما بينهم، مع أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد بيّنت لنا كيف نكون عقلاء وكيف ندير علاقات مصاهرة ناجحة، والأمر قد جسّده أمير الشعراء أحمد شوقي بشكل عام منذ أكثر من مائة عام عندما قال مخاطبا الخديوي توفيق الذي كان ذاهبا للحج:

إذا زرت يا مولاي قبر محمد -- وقبّلت مثوى الأعظم العطرات.

فقل لرسول الله يا خير مرسل -- أبثك ما تدرى من الحسرات.

شعوبك في شرق البلاد وغربها -- كأصحاب كهف في عميق سبات.

بأيديهم نوران قرآن وسنة -- فما بالهم في حالك الظلمات.

والأستاذ محمد قطب له كتاب باسم: "هل نحن مسلمون"؟!، يحذر فيه من أن سلوكياتنا وأداءنا ليس من الإسلام في شيء، وأن الإسلام نفسه يُنتقد بسبب تصرفاتنا وحماقاتنا.

هذا هو ما انتهيت إليه وما أريد نقله إلى القارئ الكريم، أن الأستاذة منى كنموذج للمرأة المصرية العاملة ليست سوبرمانا لأنها

استطاعت الجمع بين كل تلك الأعمال التي تتطلب عدة أذرع أخطبوطية، كل ذراع منها في اتجاه، ولكن الفضل الحقيقي يعود إلى النفوس الحلوة التي تحيط بها وتساعدها: زوجها، وحماها، وحماتها، وابنها الذي تم تعويده من صغره أن تكون نفسه حلوة، على الرغم من شقاوته ونشاطه الزائد، إذ إنني لما قلت لها في إحدى المرات لماذا لا تأتى به معها يوما ما إلى الفيلا؟ فكان ردها: سيأتي بضلفها!

(٣)

تكلمنا عن الأستاذة منى من الناحية الشخصية، والآن نتكلم عنها من الناحية الفكرية، أو لنقل الطائفية.

الأستاذة منى مسيحية الديانة كما قلنا.

ومن يقترب منها يجد في شخصيتها مفاتيح لحلول للمشاكل الطائفية التي تزلزل البلاد والعباد كل فترة، وكل من لديه إلمام بالسياسة الأمريكية تجاه مصر يعلم أن أدراج السى آى إيه موجود بها مشروع جاهز لإشعال الفتن الطائفية في مصر إذا خرجت قرارات وسياسات صناع القرار المصريين عن النسق الذي تريده السياسة الأمريكية.

الأستاذة منى من مسيحيي الزمن الجميل الذين لم يعودوا موجودين بكثرة هذه الأيام، بل لعل أحد أهم أسباب اشتعال الفتن الطائفية

كل فترة هي قلة وجود هذه النوعية من المسيحيين في هذه الأيام.

تتسم هذه النوعية من المسيحيين -والتي منها الأستاذة منى- بأنهم من الصعب التعرف عليهم وتحديد هل هم مسيحيون أم مسلمون، وهذا راجع في الأساس لمراعاة الأصول والواجب في معاملة المسلمين وعدم الإفراط في استفزازهم أو الشعور بالتحفز تجاههم، فهي لا تأتى لعملها مثلا وهى معلقة لسلسة فيها صليب طول ضلعه عدة أمتار كما يفعل غيرها في طول البلاد وعرضها! بل لقد تفرّستُ في يديها ولم أجد صليبًا موشومًا على أي منها وظننت في البداية أنها مسلمة، بل اسمها واسم أبيها واسم زوجها واسم حماها واسم ابنها واسم أختها لا يُفهم منها مسيحية أي منهم، على عكس الأسماء المسيحية الأخرى التي تتبرأ من اللغة العربية، وكأن الشعلة التي أقادها المفكر القبطي العظيم مكرم عبيد باشا من أنه مسيحي الديانة نعم لا لكن هذا لا ينفى تأثره باللغة العربية وبالثقافة الإسلامية لا تزال متقدة في بعض الوجدانات المسيحية، وهذا لا ينفيه إلا من ينفى وجود الشمس في منتصف نهار فصل الصيف.

وهذه النوعية هي التي منها هاني رمزي نجم النادي الأهلي والمنتخب المصري الأسبق، والذي ظل حتى اعتزاله لا يعرف الكثير من مشجعيه أنه مسيحي الديانة، لأن اسمه واسم والده يتسمى بهما المسلمون والمسيحيون أيضا، ويُذكر لهاني أنه لم يكن فقط يتناول أي طعام أمام زملائه في النادي الأهلي أو المنتخب في نهار شهر رمضان، بل كان أيضا يمتنع تماما عن تناول أي غذاء

في جوفه طوال ساعات صوم زملائه المسلمين حتى يتناول معهم طعام الإفطار وقت مغيب الشمس، وبالطبع لا يمكن تخيل وجود هاني رمزي في ناد آخر غير النادي الأهلي نادى القيم والأخلاق.

هذه النوعية من المسيحيين غير المتعصبين ضد المسلمين ولا ضد اللغة العربية ولا تعتبر المسلمين محتلين ولا "ضيوفًا" هي التي شاركت المسلمين في ثورة ١٩١٩ وكل ما بعدها من أحداث سياسية مرت بها مصر وحتى سنوات قليلة مضت، ويجدر بالذكر أنني منذ يومين وأثناء استخدامي لتطبيق شركة كريم التي تعمل هي وشركة أوبر في التوصيلات القصيرة نسبيا، وجدت أننا هنا في الفيلا ٤٣٨ على مقربة من شارع مسمى باسم شفيق مترى سيدراك، ولمن لا يعرفه هو قائد أول قوات برية قامت بعبور قناة السويس في حرب ١٩٧٣.

وظل الحال على ذلك الوضع وتلك الروح الواحدة حتى تصدر منابر التوجيه لدى المسيحيين رجال دين يريدون إشعالها نارًا لدرجة أن أحدهم قالها صراحة وعلى الهواء مباشرة أنهم سوف يحملون السلاح ضد المسلمين!

(٤)

وتجربتي في التعامل مع الأستاذة منى خلال خمسة أسابيع حتى كتابة هذه السطور تثبت أن كلام العلامة الدكتور يوسف

القرضاوي بإباحة وصف المسيحيين بأنهم إخواننا هو الصواب وأنه مبنيٌ على فقه صحيح، وأن إباحة تهنئتهم في أعيادهم هو أيضا الصواب وأنه أيضا مبنيٌ على فقه صحيح، وهذا خلافًا لما يقول به إخوتنا السلفيون من حرمة هذه الأفعال، مع أنهم يقرؤون في مواضع شتى من القرآن الكريم قوله تعالى:" يا بنى آدم"، والكلام موجه لكل ذرية آدم وليس للمسلمين وحدهم، فثبتت بذلك الأخوة بين كل البشر لبنوتهم لآدم، لذا فوصف المسيحيين بأنهم إخواننا هذا هو نهج القرآن الكريم وليس فقط اجتهادًا من أحد العلماء والمجتهدين.

والحقيقة أنني طوال سنوات عمري التي عشت فيها ليست لي شقيقة من والديَّ، لم أشعر مطلقا بمعاملة تشبه معاملة الشقيقات كما وجدت من الأستاذة منى، وكأنها لما وجدت منّا أنا وزميلي في حراسة الفيلا نية في معاملتها كشقيقة وليست فقط كزميلة في العمل، أخذت هي زمام المبادرة وبدأت بالفعل في معاملتنا كأشقاء، وخلال الأسبوعين الماضيين قد اتضح أن هناك ضغائن وأحقاد يكنها س أو ص من العاملين في الفيلا لي، وأن تلك الضغائن والأحقاد تنتظر أية فرصة للتعبير عن نفسها، لكن قد اتضح أيضا أنها هي حائط الصد ضد كل ذلك، وما لا تستطيع هي صده تكون هي العامل الملطف فيه.

فإن كان وصف "أختنا منى" معبرًا تمامًا عن الواقع، فيكون وصف "إخواننا المسيحيين" هو أيضًا مستقى من الواقع، والشريعة

الإسلامية في مجملها لم يُعلم منها ما يصادم الواقع مطلقا.

ولهذا ينبغي التماس بعض الأعذار للمهندسة فاطمة ناعوت في بعض التصريحات التي تطلقها من حين لآخر، نعم كثيرًا ما تصدر عنها ضلالات وأباطيل تصادم الثقافة الإسلامية، لكن تُعذر في إنها قد نشأت في وسط مسيحيين من تلك النوعية التي قلّ وجودها والتي منها الأستاذة منى، وهذه النوعية لا شك أنها تُحدث أثرًا في النفوس، خاصة أن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم -- فكم استعبد الإنسان إحسان.

ولابد أن المهندسة فاطمة قد صدمتها أيضًا المعاملة السيئة من قبل بعض المسلمين ووضعت تلك المعاملة في مقارنة مع المعاملة الحسنة التي تتلقاها ممن هم في محيطها من المسيحيين، وما لنا نذهب بعيدًا.. ففي بيئة عملي أنا، أحد أكثر من حدثت بيني وبينهم مشاكل واتضح أنه كان سببًا رئيسيًا وراء إنهاء عملي بهذا المكان هو إمام وخطيب لمسجد، شيخ يعنى!

(٥)

بقى شيء هام عندما نتكلم عن المشكلة الطائفية مستلهمين نموذج الأستاذة منى، يقول الإمام الشيخ محمد الغزالى: " دين

الله أجلّ من أن يُؤخذ من أفواه الحمقى "! وهو هنا يقصد الدين الإسلامي الذي يعاني من وجود دعاة حمقى بالفعل يتكلمون باسمه ويحملون لواءه ويلطخون بياض صفحته، وكذلك هو الشأن في المسيحية أيضًا: دين الله أجل من أن يؤخذ من أفواه الحمقى، وهؤلاء الحمقى هم عدد ليس بالقليل من رجال الدين المسيحيين الذين اعتلوا منابر التوجيه الديني في غفلة من الزمن، ويوجهون المسيحيين تجاه الطائفية والتعصب، والتبرؤ من اللغة العربية، بل واحتمالية حمل السلاح ضد المسلمين، وتشخيصي للأمر على أن هذه الفئة من رجال الدين المسيحيين هم حمقى بالفعل، وأن حماقتهم هي سبب كل بلاء، ولو إنهم كانوا في مثل الاتزان النفسى للأستاذة منى لما صدرت عنهم تلك الأقوال التي كثيرًا ما أسالت دماء وأزهقت أرواح وخربت منشآت.

إن مدير العمليات بالشركة التي نتبعها عندما أعطاني الزي الخاص بالعمل في الفيلا ٤٣٨ كان قد قال لي:" سأبعث بك إلى مكان هو في حقيقته هدية"، ولقد صدقت الأيام كلامه، لكنني وجدت هناك هدية أخرى، هي هذه الشخصية التي تأثرنا بها وبتعاملاتها.

أما عن اتزانها النفسى فسأتكلم فيه بتفصيل أكثر في الفصل الأخير من هذا الكتاب: أنماط من الإدارة.

ليتها كانت برتقالة!

(١)

منذ حوالى أسبوعين مضيا كنت قد طلبت من قرائي الكرام اقتراح مواضيع للكتابة كعادتي كل فترة، على أساس أنني منذ صغرى مقتنع أن كل من يقدم للناس إبداعا ما لابد أن يشتمل إبداعه على هامش يلبي فيه طلبات محبيه ومتابعيه، وأن يقدم لهم فقرة "ما يطلبه القارئون" أو " ما يطلبه المستمعون" أو " ما يطلبه المشاهدون ".

ووقتها تعددت الاقتراحات، وفى نيتي تلبية جميع تلك الطلبات، كل من طلب شيئا سأجيبه إليه لكن بعدما تنتهي مشاغلي تباعًا، وهذه السطور هي أولى تلك الإجابات لتلك الطلبات، وهو طلب زميلنا وأستاذنا السابق بكلية الزراعة بمشتهر الأستاذ الدكتور تامر شحاتة بكتابة شيء عن المحافظة على الرقعة الزراعية وسبل زيادة مساحتها إن أمكن ذلك، ولن نبتعد في كلامنا عن واقع الفيلا ٤٣٨, فإن البرتقالة التي قصدتها في العنوان ليست هي ثمرة البرتقال، وإنما هي شجرة البرتقال، والمعنى ليس بعيدًا ولا ضعيفًا، وليس خطأ لغويا أن نطلق اسم الثمرة على الشجرة، فحكيم شعراء المهجر إيليا أبو ماضي قد سبقنا إلى إطلاق اسم

الثمرة على الشجرة في قصيدته الدالة:"التينة الحمقاء"، والتي قال في مفتتحها:

وتينة غضة الأفنان باسقة.... قالت لأترابها والصيف يحتضر.

بئس القضاء الذي في الأرض أوجدني.. عندي الجمال وغيرى عنده النظر.

حيث إنه على بعد أمتار قليلة من الفيلا ٤٣٨ تقف إحدى أشجار " الفيكس بنجامينا"، وهى من أشجار الزينة، وسنتكلم عنها وعن شجرة البرتقال بعد قليل.

(٢)

في نهاية عام ١٩٩٥ قال لنا أحد أساتذتنا الذين كانوا يدرسون لنا أساسيات المحاصيل بكلية الزراعة بمشتهر هذه المعلومة المثيرة: "إن إجمالي مساحة الرقعة الزراعية بمصر هي ثمانية ملايين من الأفدنة كما تقول دائما الإحصاءات الرسمية وبعض نتائج بحوث الباحثين، لكن الحقيقة كما أقولها لكم أن المساحة الآن هي ستة ملايين فدان فقط، وأن ربع المساحة قد تآكل بفعل التجريف أو التصحر أو البناء على الأراضي الزراعية".

ومعنى كلام أستاذنا هذا أن الرقعة الزراعية تتآكل في صمت بفعل تلك الوحوش الأسمنتية التي يتم بناؤها عليها في ظل غيبة القوانين

أو في ظل فتح الأدراج و" تفتيح الدماغ" من قبل المسئولين عن حماية الأراضي، فإن أحياء كاملة في المدن قد بنيت على أراض زراعية في ظل السيولة السياسية والقانونية التي كانت سائدة في عام ٢٠١١ مثلا، وكلما ذهبتُ لمدينة المنصورة أو منية القمح على سبيل المثال أقارن بين الحيز العمراني لكلتا المدينتين في النصف الثاني من التسعينيات وقت أن كنا ندرس بكلية الزراعة وبين واقع هذا الحيز الآن، ويتضح لي دائمًا نموذجًا دالا لكمّ المساحة الزراعية التي انطمرت تحت تلك الوحوش الخرسانية التي قامت فوقها.

إذن كيف من الممكن المحافظة على ما تبقى من تلك المساحة التي "تنتج أكلنا" حسب التعبير الذي قاله وزير الزراعة الأسبق الدكتور أيمن فريد أبو حديد لأحد الذين قاموا بالبناء على أرض زراعية أثناء إشراف الدكتور أيمن بنفسه على قيام سلطات الدولة بهدم ذلك البناء؟

الإجابة ستحملها السطور التالية، وسنبدأ من شجرة الفيكس بنجامينا المجاورة للفيلا ٤٣٨.

(٣)

شجرة الفيكس بنجامينا المجاورة للفيلا ٤٢٨ يبلغ ارتفاعها حوالى خمسة أمتار، وهى من الأشجار مستديمة الخضرة التي تعطى منظرًا

جذابًا مريحًا للنفس وفى نفس الوقت تستخدم في التظليل واللجوء إليها من حرارة الشمس الحارقة في فصل الصيف خاصة عندما يكبر حجمها وتأخذ الشكل الخيمي أو شكل المظلة، لكنني كلما اقتربت منها أثناء مروري على السيارات الواقفة أمام الفيلا ٤٣٨ قلت في نفسى: لو كان الذي زرع شجرة الفيكس تلك كان قد استبدلها بشجرة برتقال بناء على التشابه بين الشجرتين في شكل الأوراق والشكل العام، وأنه لو كانت شجرة البرتقال الآن في نفس حجم شجرة الفيكس التي نتكلم عنها، ألم يكن يوجد الآن حوالى ثلاثمائة برتقالة تحملهم هذه الشجرة؟ يسعد بها ما لا يحصى من الناس عندما تقع أعينهم على أزهارها وقت التزهير، وكلما مروا بجوارها استنشقوا رائحة تلك الأزهار، ثم يسعد بها ثلاثمائة إنسان يأكل كل واحد منهم من ثمار البرتقال لمرة واحدة، أو مائة إنسان يأكل كل منهم من ثمار البرتقال ثلاثة مرات، وهذه الحسبة تخص شجرة برتقال واحدة، ولو كانت شجرة يوسفي بلدي في نفس حجم شجرة الفيكس تلك لكانت تحمل الآن حوالى ألف ثمرة يوسفي!

وهذه الحسبة يمكن تعميمها على عشرات الملايين من الأشجار في طول البلاد وعرضها، هذا إن رشد الناس في محيط تلك الشجرة وشبيهاتها من الأشجار، ولم يأت أحدهم "بشيكارة" يملؤها بالبرتقال مفكرًا في نفسه التي ملأها الطمع دون الآخرين!

(٤)

إن أول خطوة في سبيل الحفاظ على الرقعة الزراعية هو حسن اختيار ما نزرعه عليها، ولا يصح أبدا في ظل حالة شعب يشكو من الجوع ومن ارتفاع أسعار المواد الغذائية التي نستورد تسعة أعشارها من الخارج أن نزرع نباتات وأشجار لا تعطينا سوى المنظر، بل أحياناً ما يتسبب إهمالنا لها أو تتسبب الظروف المناخية المصرية، في أنها لا تعطينا حتى المنظر الذي زرعناها وأنفقنا عليها الكثير من أجله.

وهذا المنطق قد يرفضه المتخصصون في نباتات الزينة أو العاملون في مشاتل الزينة، لكنني لم أطالب مثلا بسن قانون يحظر ويجرم زراعة نباتات الزينة، ولم أتعرض للعاملين في مجال نباتات الزينة، فإنني قد طالبت فقط بالترشيد ولم أطالب بالحظر، كما أنه بشيء من حسن التخطيط وحسن التنظيم من الممكن أن يتحول النجيل لأحد أهم محاصيل العلف في مصر مما يوفر كميات هائلة من المحاصيل الأخرى التي يتنافس عليها الإنسان والحيوان كالقمح والشعير والذرة، حيث أن نسبة البروتين المهضوم بالنجيل مساوية لنسبتها في البرسيم، ومن الممكن أن تنشأ آلية لجمع النجيل المقصوص في كل مصر واستخدامه في تصنيع الأعلاف بدلا من إلقائه في الزبالة، فلست إذن ضد إخواننا من منتجي النجيل الذين بيننا وبينهم رحم التخصص الزراعي.

وما أطالب به هو أن يقلل الناس من تلقاء أنفسهم وبمحض إرادتهم من زراعة النباتات والأشجار التي لا تعطيهم ثمارًا، وأن

يستبدلوها بأخرى تعطيهم الثمار أو الأجزاء المأكولة الأخرى غير الثمار، وأطالب كذلك الحكومات عندما تقوم بتشجير المدن أن تزرع أشجارًا مثمرة يأكل الناس من ثمارها أو أن تبلغ من الكثرة بحيث تقوم الحكومات عن طريق الزراعيين من رجالها بجنى محاصيلها وتسويقها بمختلف طرق التسويق، وهو ما حدث نموذج له بمدينة الرحاب منذ فترة، حيث قد عرض أحدهم على قيادات جهاز المدينة مبلغ نصف مليون جنيه مقابل أن يتولى هو تلقيح النخل المزروع أصلا للزينة بالمدينة، وأن يقوم هو بجنى محصوله بدلاً من وجوده فقط للمنظر دون الاستفادة من ثماره، لكن طلبه قوبل بالرفض، ولما سمعت تلك الرواية فكرت ساعتها في كتابة حدوتة مستقلة عن قلة الضمير من حواديت مدينة الرحاب.

(٥)

ومنطقي هذا يتشابه مع منطق أحد مدربي المنتخب الكروي الفرنسي في فترة التسعينيات حسبما أذكر، فحينها حملت لنا صفحة الرياضة في إحدى الصحف المصرية هذا العنوان المثير:" مدرب فرنسا لا يريد إلا الأهداف! "

وقالت تفاصيل الخبر أن مدرب فرنسا قد استبعد إثنين من أهم أعمدة الفريق أحدهما كان اسمه كريس وادل حسبما أذكر، وقال مدرب فرنسا مفسرا لقراره أو للمنطق الذي يفكر به: إنني أريد

الأهداف، ولا يعقل أن إثنين من اللاعبين قد لعب كل منهما ستين مباراة دولية مع المنتخب فلم يحرز أحدهما في كل تلك المباريات إلا عشرة أهداف، ولم يحرز الثاني إلا ستة أهداف، نعم هما يقومان بواجبات مركزيهما جيدًا، لكنني لا أريد إلا التهديف وإحراز الهداف.

انتهى كلام مدرب فرنسا، ولو طبقنا نفس المنطق الذي كان يفكر به على واقع الزراعة المصرية لأقمنا مذبحة القلعة لكل أشجار الفيكس في مصر، ولاستبدلناها بأشجار تعطينا ثمارًا، ولزرعنا بدلاً منها أشجارًا للموالح بشتى أنواعها، أو للزيتون الذي ستنفعنا ثماره في التقليل من نسبة الزيت الذي نستورده من الخارج والتي تبلغ ٩٠ ٪ من إجمالي حجم الاستهلاك.

(٦)

ومما يؤيد الاتجاه للإكثار من زراعة ما يؤكل من المزروعات أثناء التشجير وليس فقط ما يزرع للمنظر أن هناك بعض نباتات الزينة تحوى سمومًا عالية السمية، قد تقتل بشرًا أو حيوانات أليفة، وكم كانت صدمتي قوية منذ شهور عندما أخبرني أحد الاستشاريين الزراعيين أن نبات "الدفلة" لو أكل حصانٌ خمسة أوراق فقط من أوراقه فهي كافية لقتله مسمومًا! وتذكرت على الفور أن مساحات واسعة مما تم تشجيره بالمناطق الصناعية بالسادس من

أكتوبر بمحافظة الجيزة تمت زراعتها بنبات الدفلة هذا!

وهذا معناه أنه لو قام أحد العاملين بتلك المنطقة بقطع غصن صغير من إحدى نباتات الدفلة، وقام بتسليك أسنانه به مثلا فقد يتسبب ذلك في موته مسمومًا، وبماذا؟ بالنبات الذي تمت زراعته لكى يريح النفس لا لكى يقوم بقتلها!

بل وعلمت أيضا أن شجرة التيفتيا التي أعشق مشهدها وهى تحمل الزهور الصفراء بكثافة هي أيضا سامة مثل الدفلة، والمفاجأة أنه توجد شجرة تيفتيا في الحديقة المنزلية الخارجية للفيلا ٤٣٨, ومن وقت رؤيتي لها أول مرة وأنا الذي أروى النباتات والأشجار بنفسى خوفا على العاملين بالفيلا من الاقتراب من شجرة التيفتيا وحدوث مكروه لأحدهم.

(٧)

ومنذ أيام قليلة قمت بجولة في محيط الفيلا ٤٣٨ وسرت على محيط دائرة افتراضية تكون الفيلا مركزها ونصف قطر تلك الدائرة حوالى نصف كيلومتر وتفقدت في تلك الجولة الزراعات الموجودة بالمنطقة، وواقع تلك الزراعات يصب بقوة في اتجاه استبدال نباتات الزينة التي لا تعطينا سوى الشكل بنباتات أخرى تعطينا الشكل وتعطينا ثمارا أو أجزاء أخرى مأكولة كالأوراق والجذور:

- فأمام الفيلا ٤٣٨ مباشرة توجد عدة أمتار مربعة مزروعة بالنجيل الذي يستهلك مياها كثيرة لريه ولا يعطينا سوى اللون الأخضر الباهت، فكيف لو كان مكان هذا النجيل جرجيرًا وبصلاً أخضر سيعطيان لونا أخضر أجمل من لون النجيل وفى نفس الوقت سيعطيان أجزاء مأكولة؟

بل كنا سنقوم بحش الجرير آناء الليل وأطراف النهار دون أن ينفد منّا!

- وأمام الفيلا الملاصقة للفيلا ٤٣٨ توجد شجرتان للموز هما للزينة فقط بعدما قد سبق وأعطت كل منهما سوباطتها الوحيدة في حياتها، وقد قام مالك الفيلا بقطع شجرتين أخريين، فلم لا تكون كل تلك المساحة مزروعة بأشجار الموز الذي يأكل منه سكان الفيلا ويملؤون ثلاجاتهم ويُهدون لمعارفهم لفترة ليست بالقصيرة؟

- وقريبا من الفيلا ٤٣٨ يوجد مسطح أخضر مساحته أكبر من مساحة ملعب كرة قدم قانوني، كنت قد اكتشفت حالة ذلك المسطح منذ البداية عندما قمت بتوصيل إحدى الشغالات إلى الفيلا التي ستعمل بها والتي لم تكن تعرف كيف تصل إليها، المسطح الشاسع المساحة منزرع بالنجيل الذي ما يزال مقسما إلى شرائح لم تتلاحم بعد على نفس حالتها التي جاءت بها إلى هذا المكان في يوم زراعتها فيه، ومنذ ذلك الوقت البعيد لم ينمُ النجيل ولم تترعرع نباتاته، ويبدو أنه يشكو من قلة الاهتمام بالري، فكيف الحال لو كان هذا المسطح مزروعا بالفول الحراتي، حيث

يسعد سكان جميع الفلل التي تطل عليه باللون الأخضر الزاهي لنباتات الفول طوال ستة أشهر كاملة، كما يأكلون منها الفول الأخضر ويشمون رائحة الفول الأخضر المنعشة، وفى النهاية تأخذ كل فيلا عدة شكائر من حبوب الفول؟

– وبجوار إحدى مدارس اللغات والتي لا تبتعد كثيرا عن الفيلا ٤٣٨ قام أحدهم بزراعة عدة حبوب من الذرة فنبتت وصارت الآن عدة نباتات من الذرة لا تقل في جمالها عن نباتات الدراسينا المشابهة لها والمجاورة لها، لكن مع الفارق أن نباتات الدراسينا ستعطينا لوناً أخضر فقط، أما نباتات الذرة فستعطينا لوناً أخضر وحبوب ذرة نتغذى عليها.

– وهناك فللٌ مزروع في حدائقها أشجار تين شوكي وأشجار مانجو، وهو الاتجاه الذي ينبغي تشجيعه، أن نزرع ما يعطينا ثمارا وأشياء نأكلها وليس ما يعطينا فقط المنظر، وهو الاتجاه الكلاسيكي في تنسيق حدائق الزينة، ولهذا فقد وضع أساتذتنا في كلية الزراعة بمشتهر الكثير من أشجار الفاكهة ضمن مناهج نباتات الزينة التي درسوها لنا.

(٨)

منذ سنوات قال لي أحد معارفي متحدثًا عن بلاد أوروبا التي زارها: "أشجار التفاح ومختلف أصناف الفاكهة مزروعة في

الشوارع وثمارها متاحة لكل من يريد أن يمد يده ويأكل منها، وعقّب على ذلك المشهد بقوله:" على ما يبدو إن الله قد أعطى هؤلاء الناس الدنيا ولن يعطيهم الآخرة "!

وبعيدًا عن منطقه الفلسفي الذي فيه نظر من وجهة نظري أنا، فإن ما ينقصنا هنا في مصر لكى يكون لدينا هذا المشهد الذي يأخذ بالألباب ويشعرنا بأننا في مجتمع يتمتع بالوفرة هو أن نكف عن زراعة ما يسعد العين والنظر وحدهما، وأن نتوسع في زراعة ما يسعد العين والنظر، والأنف والشم، واللسان والتذوق!

ولن نبتعد كثيرا عن الواقع المصري، فإنه في إحدى أجمل مدن مصر والتي أُنشئت من الأساس منذ حوالى قرن ونصف لتكون قطعة من أوروبا لكن على الأراضي المصرية وأعنى بها مدينة الإسماعيلية، فمن يتمشى من محطة قطار الإسماعيلية وحتى معدية نمرة ٦، سيجد بدءًا من مسافة كيلومترين قبل أن يصل إلى المعدية أشجارًا لا حصر لها مزروعة في الشارع وتحمل ثمارًا بغزارة ومتاحة لكل آكل، وفيها أشجار فاكهة نادرة كنخيل الدوم وأشجار العناب الذين يظنه معظم الناس مشروب الكركديه البارد بينما هو فاكهة حلوة الطعم!

ومن يسير في هذه المنطقة ينسى نفسه ويظن بالفعل أننا في أوروبا!

مفاهيم اقتصادية من الكشري والتقلية!

(١)

في الأسابيع الماضية حدثت مشاحنات إثر اتهامات نالني منها رذاذ، المشاحنات حدثت بسبب الاختفاء المتكرر للأطعمة التي يأتي بها الموظفون بالشركة التي مقرها الفيلا ٤٣٨, حيث يضع كل منهم ما جاء به معه من طعام في الثلاجة الموجودة بالبوفيه، وعلى امتداد اليوم يأتي كل فترة ليأكل جزءًا من هذا الطعام ليستمد منه الطاقة اللازمة لساعات العمل الطويلة، و.. تطايرت الاتهامات التي نالني منها رذاذ وبعض الطرطشة أيضا!

ولأنني رياضي بل ولعبتي تسمى بأم الألعاب وهى ألعاب القوى؛ فإنني أعرف جيدا معنى عبارة "الرد في الملعب"! حيث أن أبلغ الردود وأكثرها إفحامًا للخصوم هي الردود العملية التطبيقية وليست التصريحات الجوفاء، هذا مع الخصوم، فكيف بنا -وياللأسف- إذا كان جزءٌ من تلك الاتهامات أشبه بنيران صديقة جاءت من جهة ما كان لها أن تأتى منها؟!

وجاءت خطتي للرد على تلك الاتهامات "في الملعب" أن آتى بوجبات من مطاعم شهيرة و"ديليفرى " أيضًا!

حيث يقتنع كل من لعب الشيطان برأسه وظن فىّ ظن السوء أن آخر من يمكن اتهامه بسرقة طعام الموظفين هو أنا! وفى نفس الوقت أستمتع بتناول تلك الأطعمة الشهية التي سمعنا عنها من قبل ولم نرها نحن أبناء الأقاليم، وأيضًا تنفيذًا لإحدى حكم من تقطر أشعاره حكمًا: إيليا أبو ماضي، والذي أنهى قصيدته "التينة الحمقاء" بأحد أجمل التشبيهات الضمنية في تاريخ البلاغة:

من ليس يسخو بما تسخو الحياة به.... فإنه أحمقٌ بالحرص ينتحرُ.

لكن لما تكررت طلبات الديليفري التي طلبتُها في الفترة الماضية، وجدت بالتأمل أن تلك المطاعم تتبع أساليب تسويقية ذكية، جديرة بالملاحظة والنظر والتأمل، وتختلف جذريًا عن طبيعة مجتمعنا الخائب دائما في التسويق، تسويق كل شيء وأى شيء، بدءًا من حاصلاتنا الزراعية التي من الممكن أن نغرق بها أسواق العالم في الشرق والغرب، ومرورًا بالبطولات الرياضية التي تنظمها أنديتنا واتحاداتنا من آن لآخر، وانتهاء بقضايانا المصيرية ونزاعاتنا السياسية مع الدول الأخرى، حيث بسبب خيبتنا في التسويق نصير أمام العالم جناة بينما نحن والله مجنىٌ علينا!

ورحم الله أستاذنا الدكتور صابر يس أستاذ الاقتصاد بكلية الزراعة بمشتهر، الذي كان يعلمنا دائمًا أن الاقتصاد علم عملي تطبيقى ميدانه هي الشوارع والمتاجر، وليست القاعات المغلقة التي يقال

فيها كلام أجوف أصم بعيد عن واقع حياة الناس، وأن بلاء مصر في العقود الأخيرة بسبب خبراء الاقتصاد الذين يحفظون نظريات اقتصادية غربية لكنهم بعيدون عن فهم الواقع المصري، وأن البسطاء من الناس قد يتصرفون بفطرتهم وفق مفاهيم اقتصادية عالية المستوى ولا يدركها خبراء الاقتصاد، وضرب لنا مثلا من تلك الفلاحة البسيطة التي كانت تجلس لتبيع الفراولة على قارعة الطريق، والتي كانت تراعى البعد النفسى لسلعتها وتجعل لذلك ثمنًا، وبالفعل قد باعت للدكتور صابر آخر كيلو جرام من الفراولة من قفص بثمن، وباعت أول كيلو جرام من القفص التالي من نفس السلعة ولنفس الشخص وفى نفس الوقت بثمن أعلى بسبب البعد النفسى لمن يشترى شيئًا على "وش" القفص!

(٢)

أول طلبات الديليفري التي كنت قد طلبتها كان من كشرى سيد حنفى، مع العلم أنني مقتنع تماما بأن الريادة في الكشري هي لآخرين غير اسم سيد حنفى، فسلسلة "توم آند بصل" هي في نظري من أحدثت تطويرا جذريا في كل شيء متعلق بالكشري هنا في مصر، بدءًا من أناقة العبوات وانتهاء بأشكال المحلات وما تحتويه ثلاجات العرض فيها، وكشرى "أبو طارق" وُصف أمامي أكثر من مرة بأنه أفضل كشرى في مصر، لكن اسم سيد

حنفى مرتبط في ذهني منذ أن كنت أعمل بمدينة الرحاب بمفهوم اقتصادي عام وتسويقي خاص وهو مفهوم "الرضا"، بمعنى أنهم في تسعيرهم لخدمة الديليفري لا يتبعون المبدأ الاقتصادي الذي يربي الجشع في النفوس:"الحصول على أقصى ربح ممكن"، وإنما يتبعون بديله الاقتصادي الناجع والأخلاقي أيضًا وهو:"الحصول على ربح مُرضى"، فقد كان لافتًا لنظري أن كل خدمات الديليفري داخل مدينة الرحاب مسعّرة بعشرة جنيهات إلا كشرى سيد حنفى فإنه كان مسعرًا بثمانية فقط، وهو ما أشرت إليه في حدوتة "المتحركات" من حواديت مدينة الرحاب لكنني لم أذكر كشرى سيد حنفى بالاسم.

مبدأ تسويقي هام هو الحصول على ربح مُرضى أو ربح جيد، وليس فرضا الحصول على أقصى ربح ممكن خاصة إذا تسبب أقصى ربح ممكن في خسائر فيما بعد، أو إذا كان الحصول على أقصى ربح ممكن يناقض أخلاقيات معينة ينبغي الالتزام بها وعدم تجاوزها، وهو المبدأ الذي قيل شبيهه على لسان أحد الممثلين في أحد الأعمال الدرامية – أظنه مسلسل البخيل وأنا–: "تبيع رخيص.. تبيع كتير.. تكسب أكتر "!

وهناك مبدأ تسويقي هام آخر قمت باستقرائه من محتويات الكيسة البلاستيكية التي جاء فيها الكشري وهو مبدأ "إكرام العميل"، وهذا المبدأ غير موجود تقريبا في علم الاقتصاد، ففي المفاهيم التسويقية الشائعة كل سلعة تباع للعميل محسوبة تكلفتها

جيدا ومحسوب مقابلها المالي جيدا، ولهذا لم أجد في حياتي كلها تسويقا يتكلم عن "إكرام العميل" إلا مرة واحدة فقط منذ بضعة عشر عاما عندما جاءت قافلة تسويقية تابعة لشركة "موبينيل" إلى فاقوس وظلت متواجدة في الساحة الشعبية بفاقوس لمدة أسبوع حسبما أتذكر، وكان مكتوبا على اللافتات الخاصة بتلك القافلة أنهم سوف يكرمون عملاءهم!

في الكيسة البلاستيكية التي جاء فيها الكشري كان عدد أكياس الشطة أكبر من عدد طلبات الكشري وكان له عندي مردود نفسي جيد على الرغم من أنني لا أستعمل الشطة مطلقًا!

وفي كل علبة كشرى يوجد نصف ليمونة طازجة كنوع من إكرام العميل على الرغم من أن المعتاد أنه لا يضاف الليمون إلى الكشري، بحيث يشعر العميل الذي اشترى تلك السلعة أن من باعها له أعطاه فيها أكثر من حقه المعتاد في تلك السلعة عندما تبيعها جهات أخرى.

وكلما كلمتُ خدمة الديليفري الخاصة بكشرى سيد حنفى أجد الموظف – أو الموظفة– يعرضون عليّ منتجات أخرى من الممكن إلحاقها بالطلب الأصلي، وهو ما فعله معى أيضًا موظفو ديليفري كنتاكي الذين سأتكلم عنهم بعد قليل، وهذا مبدأ تسويقي ثالث، وهو عدم الاكتفاء بتلبية طلبات العميل على أكمل وجه، وإنما عرض منتجات أخرى عليه من الممكن إلحاقها بطلبه الأصلى مما

يرفع من النسبة الكلية للتسويق، وبالرغم من أنني غير معتاد على وجود سلطة خضراء في محلات الكشري، حيث إنها في نظري من اختصاص أي مطاعم إلا الكشري، لكنني فوجئت بموظف الديليفري يعرض عليّ سلطة خضراء، فرفضتها في أول طلب ثم طلبتها بنفسى في ثانى طلب لكى أرى ما هذه السلطة الخضراء التي يأكلها الناس مع الكشري، ووجدت في تلك السلطة المعدة باحترافية أربع حبات من طماطم "الشيري" الفاخرة التي تزرع أساسًا للتصدير ولاستخدام الفنادق والمطاعم الكبرى، وهذا معناه أن المطعم الذي يقدم وجبات توصف بأنها شعبية لم يقف طموحه عند هذا الحد، وإنما قد تطلع إلا تقديم سلع فاخرة لعملائه وبأسعار في متناول الجميع، وهو أيضا ما يندرج تحت مفهوم " إكرام العميل"، فإن وضع الطماطم الشيري في السلطة هو نوع من التدليل للعملاء!

هل كثرت المبادئ الاقتصادية العامة والتسويقية الخاصة التي استقيناها من كشرى سيد حنفى؟

حسنا، لكن هناك أيضا مبدئين آخرين متعلقين بالحاج سيد حنفى نفسه.

المبدأ الأول: هو الطموح الذي لا يقف عند حد، فربما لا يعرف كثيرون إن الحاج سيد حنفى -رحمه الله- كان يعمل على عربة كشرى بسيطة، والآن اسم سيد حنفى موضوع على إحدى أكبر

وأشهر سلاسل محلات الكشري في مصر، ومثلما سمعت من يقول أن كشرى "أبو طارق" هو أفضل كشرى في مصر، سمعت أيضًا غيرهم يطلقون نفس الوصف على كشرى سيد حنفى، وهى في النهاية أذواق لا تحكمها معايير محددة، ولم تقم لها مسابقة كما حدث في فيلم فول الصين العظيم!

لكن تعجبني هذه النقلة الضخمة التي أساسها طموح صاحبها وطموح أبنائه من بعده، فهذا الذي كان يعمل على عربة كشرى، ابنه يسكن الفيلا المجاورة لفيلا ٤٣٨!

ليس طُموحًا فقط، وإنما سقف عالى من الطموح، ولهذا فإنني لم أكن أبالغ عندما قلت أننا بإمكاننا إغراق أسواق العالم بحاصلاتنا الزراعية لكن بشرط واحد: أن يكون لدينا الطموح لذلك، وأن نعمل بجدية لتحقيق ذلك، خاصة أننا نعلم أن السماء لا تمطر على الكسالى ذهبًا ولا فضة.

والمبدأ الثاني هي أهمية الحرية لنمو الاقتصادات، لا اقتصاد بدون حريات واسعة، والذين هاجموا الانفتاح الاقتصادي الذي نفذه الرئيس السادات لم يهاجموه من منطلق اقتصادي بحت، وإنما من منطلق استهجان تلك الحريات التي منحها السادات لشعب هو في نظرهم لا يستحقها!

لنفترض أن شرطة الإشغالات لم تترك الحاج سيد حنفى في حاله وقت أن كان عاملاً بسيطاً على عربة كشرى، وفعل رجال

الإشغالات المعتاد منهم من مصادرة "المضبوطات" وتحطيمها بل وحبس وتغريم "المجرم"، هل كنا سنسمع الآن عن هذه القصة من النجاح؟

لكي ينمو أي اقتصاد لابد أن يكون في تربة من الحريات الواسعة، التي لا تكبلها القوانين الغبية التي لا تثق في المجتمعات وتستهدف فرض الوصاية عليها وتعطيل أنشطتها وخنق حيويتها.

(٣)

وثاني المطاعم التي طلبت منها طلبات ديليفرى كان مطعم كنتاكي!

نعم كنتاكي هل هناك مانع؟!

صحيح أنه قد انتشرت مطاعم أخرى يقدم كل منها منتجًا جيدًا جدًا، لكن اسم كنتاكي هو الأليق بمن يريد أن يكون رده في الملعب كما قلنا منذ البداية، وكانت خطتي مبنية على شراء وجبة عائلية من التي تأتى على شكل "دلو" صغير مملوء بقطع الدجاج وأن أعطى كل طرف من الأطراف التي نالني منها رذاذ الاتهامات قطعة من دجاج كنتاكي حتى إذا لعب الشيطان برأسه مجددًا فسيظل مشهد القطعة الكنتاكية يلوح في الأفق في مخيلته وسيراجع نفسه أو ستراجع هي نفسها!

لكنني فوجئت بأن سعر الوجبة قد تضاعف على الرغم من أن موقع كنتاكي مصر هو الذي ما يزال يعلن عنها بهذا السعر، وهذه إشكالية تسويقية أن السلعة الواحدة يُعلن عنها بأكثر من سعر مع أن مصدرها واحد، ويُفاجأ الناس بأن السعر المعلن عنه غير حقيقي مما يهز ثقة المستهلكين في مصدر السلعة.

بل ووجدت أن الطلب الذي وصلني من دجاج كنتاكي التجمع الخامس أقل في مستوى جودته بكثير من الطلب الذي طلبته من نفس المطعم منذ شهور لكن من فرع ٦ أكتوبر، وهو ما تخالفهم فيه العلامة التجارية لبلدياتهم مطاعم ماكدونالدز التي تعمل على توحيد صفات الجودة في كل فروعها، ولهذا عندما أدخل على صفحة ماكدونالدز مصر على الفيس بوك أجد تعليقات القراء الذين قد اشتروا وجبات ماكدونالدز تُجمع على أن الجودة واحدة في كل الفروع.

لكن اللافت للنظر في كنتاكي وماكدونالدز كليهما أنهما يعزفان على وتر التجذّر في المجتمع الذي يعملان فيه وأقصد المجتمع المصري حيث أن الشركتين أمريكيتان، ففي حين نرى اهتمام مطاعم ماكدونالدز بالعادات الغذائية الشائعة للمجتمع الذي يعملون فيه لدرجة أن قائمة أو "منيو" ماكدونالدز فيه سندوتشات طعمية بالمناسبة! نجد أن العلب المغلفة لمأكولات كنتاكي مكتوب عليها: منذ ١٩٤٠، يعنون أن اسم كنتاكي متجذر في هذا المجتمع وليس جديدًا عليه وليس جزءا من الحرب

الكونية الفلانية ولا السياسة العلانية! خاصة إنهم عانوا كثيرا من قبل من حملات المقاطعة للسلع الأمريكية، ومن ينسى مانشيت جريدة أخبار اليوم منذ بضعة عشر عاما والذي كان عنوانًا لمقال الأستاذ إبراهيم سعدة وكان بعنوان:"إنهم يشوهون الغضب المصري"، وكانت تحت المانشيت صورة مكبرة لأحد فروع كنتاكي هنا في مصر وهو مهشم تمامًا بفعل غاضبين من السياسات الأمريكية.

وبالفعل فإن الفن المصري قد قام بتوثيق وجود مطاعم كنتاكي في مصر منذ القدم عندما قالت الطفلة فيروز في أحد أفلامها مع أنور وجدي بعد خطفهما لدجاجتين من أحد المحلات:"سرقنا الخواجة كنتاكي"!

بل ولاحظتُ في كل من يقومون بتوصيل طلبات كنتاكي أنهم كما لو كان يتم اختيارهم بحيث يتسم المظهر بالبساطة وألا يدل على أن الشركة أمريكية.

وهذا الدهاء التسويقي من أكثر ما نحتاجه خاصة عند تسويق حاصلاتنا الزراعية، أن نركز على مفهوم التجذر السلعي المصري في البلاد التي نصدر حاصلاتنا إليها، وعلى فهم العادات الغذائية لسكان تلك البلاد مثلما تفعل مطاعم ماكدونالدز التي تعد سندوتشات طعمية لمن يطلبها! وبأسعار قريبة جدا من أسعار المطاعم الشعبية العادية.

وهو ما قلت مثيله عندما كنت في وادي النطرون وكتبت "مشروع تطوير الشركات الزراعية"، وقلت ضمن ما قلت: إن الإنجليز يُقبلون على أكل البطاطس البيبي في شهور الشتاء فلماذا لا نزرعها بكثرة ونصدرها لهم؟

وإن الأوروبيين بشكل عام يتهافتون على أكل البرتقال في الشتاء، فما تفسير مشكلات تصدير البرتقال إلى أوروبا؟

وتتسم معاملات كل من كنتاكي وماكدونالدز بشيوع ثقافة الاعتذار على عكس الثقافة السائدة في الشعب التي تعمل فيه الشركتان، حيث أن التراجع عن الخطأ عندنا وفى ثقافتنا مرفوض والاعتذار عنه مستهجن!

وهناك نكتة تقول أنه من المستحيل إقناع خدمة العملاء لأية شركة بأنهم على خطأ!

لكن منذ أيام اتصلت بي إحدى الموظفات بالشركة التي مقرها الفيلا ٤٣٨, وطلبت منى الاحتفاظ بطلب قادم من مطعم ماكدونالدز حتى تأتى هي وتتسلمه منى، فلما وصل طلبها رفضت إعطاء من قام بالتوصيل ثمن هذا الطلب! وتعجبتُ من قوتها وهى تتكلم ومن ضعفه أمامها!

لكن قد اتضح أن فرع ماكدونالدز في تلك المنطقة الراقية قد تأخر في توصيل طلبها، فقرروا إعطاءها الطلب مجانا كنوع من

الاعتذار!

الاعتذار في عالم المال والأعمال هو مفهوم اقتصادي هام، قد يُنجح مؤسسات وغيابه قد يفشل مؤسسات أخرى ويقضى عليها.

(٤)

عندما تقوم الأستاذة منى بطلب طلبات البوفيه التي تكفى أسبوعًا كاملاً من أحد المتاجر المعروفة ؛ تجعل نسبة من علب اللبن الذي تدرجه ضمن قائمة الطلبات من النوع المنزوع الدسم، على أساس أن هناك من يفضلونه من الموظفين، ولما سألتُها عن سعر علبة اللبن المنزوع الدسم فأجابت بأنه نفس سعر اللبن الحليب الكامل الدسم!

إذن الأمر فيه مكر تسويقي من شركات الألبان لكنه مكرٌ محمود، وبراعتهم التسويقية مثيرة للإعجاب بحق، فإنني وكل الزراعيين خاصة من لا زالت معلوماتهم حاضرة يعلمون أن اللبن المنزوع الدسم هو منتج رديء، لأنه منزوع منه أهم مكون من مكونات اللبن، بل إن نسبة الدهن في اللبن هي التي يتحدد على أساسها سعر اللبن، بل وسعر الحيوانات الحلوبة التي يتم استيرادها من الخارج، وكل حيوان يتم استيراده من الخارج لصالح مزارع الداخل

يتم تحديد سعره بناء على كم سينتج من الحليب كل يوم وكم تبلغ نسبة الدهن في هذا الحليب؟

فما تصنعه شركات الألبان أنها تقوم بنزع الدهن من اللبن وتقوم بتعليبه كقشدة مرتفعة الثمن أو تكثيفه كسمن بلدي يباع بأرقام فلكية، ثم تقوم ببيع المنتج المتبقي تحت اسم مزخرف أنيق هو: لبن منزوع الدسم!

فعلا يصدق عليهم قول القائل: يا أولاد اللعيبة!

هذا مع أن هناك من المستهلكين من يرى مثل الزراعيين أن اللبن المنزوع الدسم هو منتج رديء لكنهم لا يعلمون تفسيرًا لذلك، ولقد سألت الأستاذة منى عن رأيها كمستهلكة لهذا المنتج فأجابت بأن طعمه ليس جيدًا، ولما سألت عمال البوفيه عن السر في شراء كل هذا العدد من علب اللبن المنزوع الدسم كل أسبوع فكانت الإجابة أن مستهلكيه ينفذون برامج لإنقاص الوزن!

ومعنى هذا الكلام أن المكر التسويقي لشركات الألبان قد خاطب بهذا المنتج تلك الفئة الحائرة التي تريد إنقاص أوزانها، مع إن العلم يقول أن اللبن المنزوع الدسم هذا هو لبن بقرى، فنسبة الدسم فيه نسبة ضئيلة لا تزيد عن ٣٪، ومن الممكن أن تكون أقل من ذلك بسبب ظروف التغذية والإعاشة والظروف الجوية التي تعيش فيها الحيوانات الحلوبة.

ولا أذكر أنني صادفت في حياتي كلها من هم أبرع في التسويق من شركات الألبان إلا خبيرًا في التسويق أخبرنا به كتاب اللغة الإنجليزية في إحدى سنوات المرحلة الثانوية حسبما أذكر، وكان لهذا الخبير من الدهاء التسويقي ما يجعلنا نرفع له القبعات بحق، فقد استعانت به إحدى الشركات التي تنتج مقاشر البطاطس المنزلية، وقال له مسئولو الشركة أنهم يريدون زيادة حجم المبيعات، وبعد فترة قصيرة كتب هذا الخبير تقريره وطلب شيئاً واحدًا: أن يتم طلاء مقاشر البطاطس بألوان قشر البطاطس، ولم يمر وقت طويل حتى تضاعفت مبيعات الشركة!

(٥)

بالرغم من أن فريق عمل الشركة التي مقرها الفيلا ٤٣٨ من الكفاءات الذين يتم انتقاؤهم بعناية، لكن كاتب هذه السطور قد وجد أن ثغرة ما في منظومة تسويق الشركة لابد من رتقها، وأن آفة ضعف كفاءة التسويق ليست بعيدة منهم، فكتبت هذه المذكرة إلى السيدة رئيسة مجلس الإدارة:

بسم الله الرحمن الرحيم

السيدة الأستاذة / سحر سلامة.. رئيسة مجلس إدارة الشركة:

تحية طيبة وبعد؛

فمنذ حوالى أسبوعين كان المهندس محمد كريم قد ألقى علينا أنا والأستاذة منى محاضرة مختصرة في مجالات عمل الشركة، وساعتها سألته: لماذا لا توسع الشركة من نشاطها وتدخل في نطاق الدفع من خلال فواتير التليفون الأرضي، مثلما فعلت الشركة المصرية للاتصالات ودخلت هي في نطاق خدمات التليفون المحمول على غير عادتها وخلافًا لنشاطها الأصلي؟

وامتدادا لهذا المقترح فهذه مقترحات أخرى أقدمها لسيادتكم، لأني بعدما تجولت في صفحة الشركة على الفيس بوك رأيت أن هذه المقترحات تحتاج لعقلية نشيطة وخلاقة مثل سيادتكم لتفعيلها:

أولاً: إنشاء تطبيق خاص بالشركة على المتاجر المختلفة مثل جوجل بلاي وApp Store.

ويراعى فيه أنه يقوم بمطاردة مستخدمي الهواتف الذكية مثلما يفعل تطبيق أوبر وكريم، حيث كلما فتحت هاتفي المحمول أجد أحد التطبيقان يقطعان عليّ تصفح المواقع المختلفة ويعلنان عن نفسيهما، ويراعى فيه أيضا تسهيل خدمة الدفع مقابل أي شيء عن طريق خدمات الشركة في أي مكان في العالم، وهناك ألعاب ألعبها أنا على هاتفي المحمول أحتاج فيها لشراء مراحل إضافية واللعبة تعرض عليّ أنا وغيرى من مستخدميها الأسعار ولا توجد وسيلة دفع متاحة، ولهذا فالشركة عن طريق تطبيقها المقترح هذا

أمامها مساحة واسعة تستطيع استغلالها.

ثانيًا: إدخال خدمات متجر الفيس بوك ضمن خدمات الشركة: خدمة الإعلان - خدمة ترويج الصفحات - خدمة ترويج المنشورات - خدمة شراء الألعاب وغيرها من الخدمات، وعدم وجود هذه الخدمات ضمن نشاط الشركة حتى الآن أظنه تقصيرًا في التسويق جيدًا للشركة.

ثالثًا: اتباع بعض الممارسات الاحتكارية التي لا تتصادم مع قوانين منع الاحتكار في البلدان المختلفة وفى نفس الوقت تجبر العميل على الشراء والدفع عبر خدمات الشركة، مثل شراء حصص من تذاكر مباريات رياضية هامة وبيعها للجمهور عن طريق خدمة الدفع عبر الشركة، مع وجود موظف تابع للشركة قبل المباراة وفى مكان إقامتها لتسليم التذاكر للمشترين، ومثل شراء حق مشاهدة فيديوهات تعليمية أو ترفيهية على اليوتيوب إلا لمن يدفع مقابل ذلك عن طريق خدمة الدفع بالشركة، والأفكار كثيرة في هذا السياق.

رابعًا: عمل منتجات جديدة عن طريق المبرمجين العاملين بالشركة، مثل تطبيقات وألعاب، قد تكون جديدة وقد تكون مقلدة، لنأخذ مثلاً لعبة Mahjong أو لعبة الشطرنج أو زوما أو غيرهم التي يوجد منها عدد كبير من النسخ على متاجر الألعاب، فمن الممكن أن تكون للشركة ألعابها الخاصة بها المقلدة أو الجديدة

والتي لا يمكن شراؤها إلا عن طريق خدمة الدفع بالشركة، ومن الممكن أن يكون للشركة متجرها الخاص بها الذي يضم الكثير من هذه النوعية من المنتجات

.هذه المقترحات الأربعة هي بداية لمزيد من الأفكار التي من الممكن أن أقترحها مستقبلاً على سيادتكم، ردًا لجميل هذا المكان الجميل الذي نعمل فيه.

وتفضلوا بقبول وافر التحية والاحترام والشكر.

وليد محمد محمد صالح.

(٦)

إن مشكلة التسويق في مصر، تسويق أي شيء وكل شيء كما قلت في البداية، هي أننا اعتبرناه علمًا يدرس في كليات التجارة للتجاريين وحدهم، لكننا قد أخطانا في نسيان أن التسويق فن وموهبة ودهاء وإبداع، وأنه كعلم ينبغي أن يدرس لطلبة أية مؤسسة تعليمية سوف تخرجهم لكى يعملوا في أي موقع إنتاجي كان، فطلبة كليات الزراعة مثلاً يدرسون كيف ينتجون الإنتاج الزراعي لكنهم لا يدرسون كيف يسوقون هذا الإنتاج وأنا شاهد عيان على ذلك، مع أن أكثر صادرات مصر وأكبر مصدر للعملة الأجنبية هي الصادرات الزراعية، ولقد أجريت منذ سنوات

حسبة كروكية بسيطة وجدت من خلالها أن البرتقال الذي تصدره مصر كل عام لأوروبا هو وحده يدر من العملة الأجنبية ما تدره قناة السويس مثلاً مثلاً يعنى!

ولو جاء اليوم الذي نستطيع فيه على المستوى المجتمعي تسويق صادراتنا الزراعية جيدا فهذا يكفى لرخاء ورفاهية هذا المجتمع، ولن نستجدى وقتها السياح أن يأتوا!

فكيف إن كان لمن يقومون بالتسويق السياحي نفس المهارة؟

أنماط من الإدارة

إدارة المجتمعات

منذ بداية عملي في الفيلا ٤٣٨ لاحظت أنه لا أحد يستخدم الألقاب مع أحد على الرغم من الفروق الممتدة بين الأعمار وبين المراتب الوظيفية بين المديرين والموظفين، لا أحد يستخدم الألقاب ولا مع صاحبة الشركة نفسها!

والأمر وإن كانت فيه أمارات التراخي أو الفوضى أو عدم الاحترام إلا أن موقفا لا أنساه قد نفى تلك الفكرة، ففي إحدى الليالي زارنا في الفيلا مشرف القطاعات بشركة الشروق للأمن، وقد كان يطمح في أن يتم صرف شيك متأخر منذ عدة أشهر، ولما كلم المدير المالي تليفونيًا والذي ظهر من المكالمة أنه لم يكن موجودًا بالشركة في تلك اللحظة، ظهر من المكالمة أن المدير المالي قد أشار إليه أن يصعد إلى حيث مكتب الحسابات ليتسلم الشيك، ولما اصطحبته إلى هناك قمت أنا بالطرق على باب إدارة الحسابات ودخلت أن ومشرفي هذا بعد إذنهم لنا بالدخول، وكانت الحالة التي يجلس فيها موظفًا الحسابات توحى بنوع من الاسترخاء، لولا أنني سألتهما: هل قال لكما الأستاذ "محمود" شيئاً؟ فأجابا بالنفي، وكلمه أحدهما هاتفيًا قائلاً بدون ألقاب على الرغم من

فارق السنوات العشر بينهما:" أيوه يا "محمود"، إيه الدنيا؟"، ثم أعقب ذلك بأن نهض من على كرسيه بشكل أقرب إلى القفز على الرغم من بدانته النسبية، وتم إنجاز الإجراءات التي يتم بمقتضاها تسليم الشيك لصاحبه بهمة ونشاط يتناقضان مع حالة التراخي التي كانت بادية على هذين الموظفين.

هل يذكر قارئي الكريم ما كنت قد كتبته على نظام العمل وطريقة التعامل داخل ما أسميته كوكب cpc وهو نادى القاهرة للتصوير الفوتوغرافي؟ يراجع مقالي " ظاهرة محمد علاء" ورسالتي "رسالة إلى المصور محمد علاء الدين" ويمكن الوصول إليهما بسهولة عن طريق البحث عنهما على جوجل.

يبدو أن ثمة كواكب أخرى موجودة في الواقع تشابه كوكب cpc، وكلها قائمة على إزالة الفوارق بين الرؤساء والمرؤوسين، وفى نفس الوقت أيضا على الجدية المفرطة إذا حانت لحظة تنفيذ أية مهمة من مهام العمل.

ولنقارن ذلك بنمط التعامل في مزارع الزراعات الصحراوية حيث لا تخلو مزرعة من وجود أحقاد بين س وص وع ول وكل حروف اللغة العربية! والروح السائدة في التعامل بين الرؤساء والمرؤوسين أقرب إلى التأله من جانب الرؤساء، والمبدأ السائد هو أن الشعب المصري لا ينفع معه الاحترام في التعامل!

وقد قلت عن تلك الروح أنه قلمًا توجد مزرعة من المزارع النفوس

بها صافية تمامًا، وأن مصلحة العمل هي التي تدفع فاتورة تلك الأحقاد ولو بشكل ضئيل، وهو ما دفعني مبكرًا من خلال كتاباتي الزراعية إلى تخصيص بند مستقل متعلق بمجتمعية مكان العمل عندما رسمت بالكلمات كروكي لتطوير عمل الشركات الزراعية وزيادة إنتاجها ومعظمة أرباحها في طول البلاد وعرضها.

يقال كثيرا أن الشعب المصري لا ينفع معه الاحترام، وهذه هي الفكرة السائدة سواء في مجتمعات المزارع التي كنت أعمل فيها أو في كل مكان في مصر، لكن في الواقع هناك "كواكب" تنقض تلك الفكرة وتثبت فكرة أحد المديرين في إحدى شركات الأدوية بالسادس من أكتوبر والذي أثناء توزيعه لوجبات الإفطار الرمضانية على أكثر من ألف متواجد وقتها، وحيث لا يخلو الأمر من عشوائية وطمع من البعض قال قولته الدالة:"الشعب المصري شعب محترم لكن ضعه أنت على الطريق الصحيح ".

وليس معنى ذلك أن تلك الكواكب أو شبيهاتها محصنة من التردي الإداري أو الانخفاض في مستوى رقى التعامل بين أفرادها وبعضهم أو بين أفرادها وباقي سكان كوكب الأرض! فإنه قد تبين لي من خلال التواجد القصير في كلا الكوكبين: كوكب cpc وكوكب الفيلا ٤٣٨ أن المجتمعات الراقية والمدن الفاضلة قد تنزلق من قمتها إذا حدث أحد احتمالين: إما أن يدخل الأوغاد إلى داخل المنظومة فيلوثون جوها العام ويشجعون أو يجبرون غيرهم على مزيد من هذا التلويث، وإما أن تسود الفكرة المنحطة طوعًا أو كرهًا

فتذهب بصفاء هذا المجتمع الصغير، ولقد مررت بنفسى بتجارب مع الكوكبين عاينت من خلالها تجارب مع الأوغاد الذين تسللوا إلى كوكب cpc وتجربة عملية لكيفية انتشار الفكرة المنحطة في المجتمع الفاضل وكانت متعلقة بعدد ملاعق السكر التي أضعها أنا في كوب الشاي وأنا في الفيلا ٤٣٨, وحدث زلزال يومها وظلت توابعه تلقى بظلالها على التعامل بيني وبينهم في ذلك المكان حتى آخر يوم لي فيه!

ومع التسليم بأننا في مصر بشكل عام نعيش في مستنقع آسن من التعامل المنحط بين الناس وبعضهم إلا أنه من السهل أن تتواجد في داخل المستنقع "كواكب" أو "جيوب" بلغة الجغرافيا بها تعامل راق قائم على التقدير المتبادل بين الجميع مع الجدية في الأداء، لكن بشرطين مهمين ينبغي ألا ننساهما: أن نحذر دخول الأوغاد إلى المنظومة، وأن نميت كل فكرة منحطة وهى ما تزال في مهدها!

****

إدارة المشاعر

منذ أسابيع حضر أحد الموظفين بالفيلا مصطحبًا معه ابنه الصغير الذي ما يزال في المرحلة الابتدائية، وقال وقتها أن زملاء ابنه في رحلة مدرسية في ذلك اليوم وأن أمه تخشى عليه من تلك

الرحلات، ولما كان الكلام أصلا مع الأستاذة منى فقد قالت أن "كيكو" ابنها عندما يكون في رحلة فإنه يصاب بالعطش! أي أن خوفها عليه إنما يكون فقط من العطش خاصة أنه ما يزال في السنة الابتدائية الأولى ولا يستطيع التعبير جيدًا عن طلباته أو عن مشاعره، ففهمت أن أسلوب "أم كيكو" مختلف ومدروس في إدارة مشاعرها نحو ابنها على الرغم من أنه وحيدها، وهو ما اتضح لاحقًا من كمية الكروت الذكية الكثيرة التي لها حافظتها الخاصة بها نظرا لكثرتها، والتي يستخدمها السيد "كيكو" في ألعابه في كل مكان!

كلا الأسلوبين مقدر ومقبول وغير مستغرب مما يسمى بقلب الأم، لكن في الناحية الثانية فإن الأسلوب المتبع فيه نظام دقيق بعض الشيء لإدارة المشاعر الجياشة، بحيث تعود فائدتها على الطفل لا أن تضره مرحليًا أو مستقبليًا، ولا أن تضيع عليه فوائد يجنيها أقرانه بينما يحرم هو منها.

ولقد سألتها في تلك النقطة فيما بعد فقالت أنها قد شعرت بالضيق من أجل ذلك الطفل الذي حرم من مشاركة زملائه في رحلتهم المدرسية، وأن الطفل في هذه السن يريد أن ينطلق، فظهر أنها على دراية لا بأس بها بفنون التربية، خاصة أن الأمهات متّهمات دائما بأنهن من يفسدن الأولاد بسبب التدليل! وتذكرت عبارتي التي كتبتها سابقا في ثنايا هذا الكتاب أن التربية هي زرع القيم والمفاهيم وليست هي التزغيط! وأن أمهات الزمن الجميل

كن أكثر احترافية من أمهات هذه الأيام، لكن يبدو أن هناك أيضا نماذج من أمهات هذه الأيام يفهمن جيدا معنى التربية لكن مع التأكيد على أنهن لسن بنفس قدرات أمهات الزمن الجميل!

والتربية لابد لها من بعض العنف البسيط الذي يعدل ولا يكسر، وهو ما عبره عنه أمير الشعراء أحمد شوقي عندما قال:

فقسا ليزدجروا ومن يكُ راحمًا.... فليقس أحيانًا على من يرحمُ.

ولهذا فإننا في مجال الزراعة عندما نقوم بتربية الأشجار فإننا نستخدم المقص والمنشار حتى نزيل أغصانًا بعينها بل فروعًا بأكملها، نعم قد تتألم النباتات ونتيجة لذلك تفرز أجسادها إنزيم "الجرح" الذي يعرفه كل من له إلمام بفسيولوجيا النبات، لكن في النهاية يعتدل قوام الشجرة وتدب فيها الصحة والعافية ويطول عمرها، ولو تم تركها بدون تربية لقلت إنتاجيتها ولضعفت مناعتها ولأصابتها الأمراض.

وعندما كنا في الصف الثالث الثانوي قال لنا أحد أساتذتنا في إحدى الحصص: " جيلكم هو آخر جيل فيه الرائحة الحلوة"! وهو يقصد أن جيلنا هو آخر جيل تلقى تربية جيدة، كانت مشاعر أهلينا ومعلمينا فيها منضبطة تهدف إلى إنشاء الإنسان الصالح الذي ينفع نفسه وينفع مجتمعه، ولأنه كانت هناك تربية بحق، فقد كان العنف المدرسي الذي كان يمارس علينا أحيانًا مقبولاً ومبررًا بل ومطلوبًا، وكان أهلونا يقولون لنا " إن الأستاذ إنما يضربك

لمصلحتك"، ولما كبرنا فهمنا معنى تلك الجملة خاصة لمن أصبح مؤهلاً تربويًا ككاتب هذه السطور، أن الضرب في المدارس جزء أساسي من العملية التعليمية وفق ضوابط معينة، وأن منع الضرب من المدارس بسبب المشاعر غير المنضبطة وغير المدارة جيدًا من الآباء والأمهات هي التي أفسدت العملية التعليمية برمتها، إذ قد فقد المعلم وسيلة هامة من وسائل السيطرة على الانطلاق الذي يعيشه من هم في تلك الأعمار الصغيرة وفقد هيبته في نفوسهم.

ولقد سجل التاريخ مواقف لا تنسى لأمهات بطلات كن يدرن مشاعرهن جيدا نحو أبنائهن، ويعجبني في ذلك موقف الخنساء التي كانت هي التي شجعت أبناءها الأربعة على خوض معركة القادسية، ولما استشهدوا فيها جميعا وجدت في استشهادهم عزاء لها عن فقدهم.

ورحم الله أم أحد قدام أصدقائي وكان زميلاً لي في الدراسة حتى نهاية المرحلة الثانوية، والتي عندما ظهرت نتيجة الثانوية العامة واتضح أن ابنها المنهك بسبب "علقة" الثانوية العامة سيدخل معى كلية الزراعة بمشتهر أصرت على أن يعيد السنة تحسينًا لمجموعه مهما كلفهم الأمر من جهد ومال، وهددت بترك البيت إن لم تتم الاستجابة لطلبها! وبالفعل قام صديقي هذا بإعادة السنة فحصل على المجموع الذي سيدخله كلية الطب البيطري، ومع ذلك لم يهدأ بال أمه!

فكررت تهديداتها الجدية بترك البيت إن لم يقم بإعادة السنة مرة ثانية لأن لها هدف واضح لن تحيد عنه، وهو أن يصبح ابنها طبيبًا بشريًا مثل خاله الذي مات في حادث سير وهو في بداية دراسته الطبية، واستجاب الابن الذي أنهكته الدراسة والتحصيل، ورضخ الأب أيضًا، والنتيجة أن صديقي هذا هو الآن طبيب بالفعل!

في دراستنا لمادة مدمجة من مادتي "التربية المقارنة" و"تاريخ التعليم" وقفنا على دور الأم اليابانية في صناعة نهضة بلادها، ليس من خلال عملها أو توليها المناصب الرفيعة ولكن من خلال احترافيتها في التربية، ومن المعلوم أن اليابانيين هم أساتذة العالم في لعبة الكراتيه، والتي يتتلمذ فيها الطفل الياباني أولا على يد أمه التي تنمى فيه القوة والرجولة ثم بعد ذلك على يد المدربين، وفى النهاية ينتج مجتمع من أكثر مجتمعات العالم صحة وفتوة وقدرة على العمل والإنتاج بسبب الأمهات اللاتي أدرن مشاعرهن نحو أطفالهن وربين فيهم الرجولة والإقدام والتحمل.

قد يقول البعض أن لفظ "كيكو" هو أصلاً لا يوحى بتربية جيدة لما فيه من التدليل المفرط!

لكن أليس الوضع مشابهًا لما كانت عليه "أم عمرو" التي تكلمت عنها في كتاب "مذكرات خمس سنوات في وادي النطرون"، والتي بسبب تأثري بكيفية نطقها لاسم ابنها كما لو كان حلو المذاق

بالنسبة لها قد خصصت لها فصلاً كاملاً في الكتاب للحديث عنها، وقارنت بينها وبين "الهوانم" اللاتي يتزعمن الحديث باسم المرأة المصرية لدرجة أن من قرائى من اتهمنى بالخروج عن الموضوع!

والتربية الواعية من الأمهات لا تناقض التدليل لأبنائهن إذا وضع كل شيء في سياقه وفى مساره.

***

إدارة الجمال

منذ عقود مضت ومظهر المرأة يمثل إشكالية هنا في المجتمع المصري، وهذه الإشكالية لم تكن تعرفها القرون السابقة التي كانت تشيع فيها ثقافة احتشام المرأة واعتبارها جوهرة غالية، وأن ما يليق بالجواهر هو أن تكون مكنونة غير متاحة لكل ناظر أو آكل لها بعينيه!

وكان الأمر لا يفترق فيه أصحاب الديانات المختلفة، فحتى في المسيحية كانت النساء متحجبات وهو ما يتماشى مع الطرح الذي كان قد طرحه القس المرحوم إبراهيم عبد السيد أن الحجاب فريضة مسيحية مثلما هو فريضة إسلامية، ولذلك لما قامت بعض النساء بخلع الحجاب في ميدان الإسماعيلية – ميدان التحرير الآن– وصفهن أمير الشعراء أحمد شوقي في إحدى قصائده بالغواني!

الأمر الآن مختلف حيث قد استقر في وجدان المسيحيين بأن التحجب إثم وأن خلعه فريضة دينية ربما عملاً بمفهوم "المخالفة" مع المسلمين! وانتشرت ألوان من الأزياء تستعملها النساء المسلمات قبل المسيحيات فيها ما فيها من الخلاعة.

ودائمًا ما تكون الفتيات متهمات أولاً في كل حوادث التحرش بسبب ملابسهن المشجعة على التحرش، ثم بعد ذلك توجه الاتهامات إلى الدوافع الإجرامية لدى المتحرشين.

ومادام الأمر من الوجهة الدينية قد حدث فيه لغط وخلط فلنستبعد من كلامنا تلك الوجهة، وليكن كلامنا منصبًا على مفهوم إدارة الجمال، حيث أن كل فتاة وكل امرأة قد أوتيت حظها من الجمال ولم تُبخس فيه، وأن كل فتاة وكل امرأة تحب أن تبدو جميلة وأنيقة، لكن الإشكالية هي إشكالية كيفية إدارة هذا الجمال بما لا يخرج عن الهوية والثقافة المصرية السائدة، وبما لا يصادم القيم الدينية، وبما يحد من حوادث التحرش، وبما يشعر أيضا كل فتاة وكل امرأة بالرضى عن مستوى جمالها وأناقتها، فإنه توجد غصة في الحلق بسبب انتحار فتاة منذ شهور في إحدى مدن مصر بسبب شعورها بأنها قبيحة، و بأنها لم تؤت حظاً جيدًا من الجمال.

لنأخذ نموذجًا من واقع الفيلا ٤٣٨، النموذج هو الأستاذة منى التي ليست أبدًا استثناء من قاعدة أن كل النساء يحببن أن يظهرن

جميلات أنيقات، لكنها ذكية وقديرة في إدارة جمالها الخاص، فالبرغم من أنها ليست محجبة على اعتبار أنها مسيحية الديانة إلا أنها لا تستعمل مكياجات من أي نوع! وبالرغم من أنها تطيل أظافرها مثل غالبية فتيات ونساء المجتمع المصري إلا أنها لا تستعمل طلاء الأظافر مطلقا! ومع ذلك تبدو جميلة أنيقة وأيضا تم قبولها للعمل كموظفة استقبال مع ما هو مفترض فيمن تشغل تلك الوظيفة من حسن المظهر.

قد يكون الأمر مفاجئًا وصادما للقارئات على نحو خاص على اعتبار أنه شيء غريب وغير مألوف أن امرأة بل وغير محجبة لا تستعمل المكياجات ولا حتى طلاء الأظافر، لكن الأمر قد يفسره أحد احتمالين:

الأول: هو مستوى عال من الاتزان النفسى والاقتناع بأن الصورة المزخرفة ينبغي أن تظل محصورة لعينيّ زوجها الذي بالفعل يحبها بعمق كما ظهر من كلامه عنها على صفحته على الفيس بوك في عيد زواجهما العاشر منذ شهور.

والثاني: الاقتناع بأن الجمال هو منظومة متكاملة لا تتمثل فقط في الأصباغ التي توضع على الوجه، وإنما أيضا في مستوى أناقة الملابس وتناسق القوام ونضارة الوجه وصفاء الابتسامة وحلو الكلام.

مقاييس جمالية متعددة توافرت في تلك الشخصية المتفردة ربما

هي التي جعلتها تنحى جانبًا ما تعشقه كل النساء من صنوف المكياجات والأصباغ، وللحق أنا لم أسألها عن سبب عدم استعمالها لأي نوع من المكياجات خلافا لكل الموظفات في محيطها وخلافا لطبيعة النساء، وذلك ليس خوفًا من ضيق أفق يجعلها لا تجيب، وإنما فتحًا للباب لكل الاحتمالات التي يمكن قياسها على غيرها من النساء.

إن أولى علاجات إشكالية مظهر المرأة في واقعنا المعاصر هو اقتناع المرأة بشكل عام بأن الجمال ليس فقط جمال مساحيق وأصباغ، وأن جمال النفوس هو الأقوى والأعلى، وأنه أيضا قد أوتيت كل امرأة حظها ورزقها وكفايتها من الجمال الشكلي، لعلها هي التي ترضى به وتحافظ عليه.

***

إدارة الأسعار

على بعد حوالى مائتي متر من الفيلا ٤٣٨ توجد "أم أحمد" البائعة المتجولة التي تتمركز يوميا في نفس المكان الذى تبيع فيه الطعمية وشبيهاتها من المأكولات الشعبية، يساعدها في ذلك زوجها وابنتها. وفي أحد الأيام بينما كنت أقف منتظرًا إنضاج "الطعمية" الموضوعة في الزيت؛ كان زبائن "أم أحمد" يقفون

صانعين كل منهم سندوتشاته بنفسه، وكان كل منهم يتفنن في "حشو" السندوتشات بما اشتهت نفسه وبأية كمية. الغريب أنه لما قامت "أم أحمد " بعد دقائق بعمل سندوتش لأحد الزبائن بنفسها وضعت فيه من الحشوة ما يفوق في كميته ما كان يضعه الزبائن الذين كنت أظنهم طماعين، فإذا بي أكتشف أن أم أحمد هي التي تفهم جيدا في التسويق فهما يجعلها جديرة بأن تعطى للاقتصاديين دروسا ومحاضرات فيه.

من المؤكد أن "أم أحمد" تربح من هذا النشاط التجاري الذى تزاوله على الرغم من أن طبيعة السندوتشات التي تبيعها والتي يتم إعدادها بهذه الطريقة ونفخها حتى تكاد تنفجر تقول عكس ذلك!

إذن كل زيادة في الأسعار تأتى عن طريق الحكومات أو عن طريق البائعين هي زيادة غير مبررة، والمثال الدال أمامنا: سندوتشات أم أحمد.

والدارس لهذه "الحالة" يجد أنها تبرع في اجتذاب العملاء إليها بهذا الأسلوب فتكثر حركة البيع والشراء فيزيد إجمالي الأرباح حتى وإن كانت قليلة على كل سلعة بمفردها، وهو نفس أسلوب :" تبيع رخيصا.. تبيع كثيرا.. تربح أكثر"

وفي بلدتنا فاقوس هناك حالة مشابهة لحالة أم أحمد، وهو محل عصير القصب الذى أتردد عليه دائما، فكوب عصير القصب

ذو الحجم "الجامبو" يبيعونه بثلاثة جنيهات، ولنقارن ذلك بمحل آخر في منطقة رمسيس بالقاهرة يبيع نفس الكوب بنفس الحجم بخمسة جنيهات على الرغم من أن محل فاقوس يستقدم القصب من محافظة المنيا التي هي أقرب لمنطقة رمسيس من فاقوس، وهذا يثبت ما قررناه في البداية أن أية زيادة في الأسعار لا مبرر لها؛ فإن المحل الذى في فاقوس -حتما- يربح جيدا ويستمر في مزاولة نشاطه مثلما تربح أم أحمد جيدا وتستمر في مزاولة نشاطها.

ولو جلسنا وضربنا الأمثلة لهذه الفكرة الاقتصادية فستسعفنا القريحة ربما بالمئات منها، فالحكومات المتعاقبة الدائبة رفع أسعار السلع والخدمات -يقينا- لديها بدائل أخرى لرفع الأسعار لكنها دائما تلجأ للحل الأسهل من وجهة نظر رجالها وهو رفع الأسعار، تماما كما فعلت إدارة نادى القاهرة للتصوير الفوتوغرافي أو "كوكب سى بى سى" كما أحب أن أسميه دائما، والذين لما أرادوا تعظيم أرباح الكافيتريا الخاصة بالنادي لجأوا للحل السريع والسهل وهو مضاعفة الأسعار بدلا من ابتكار أفكار ذكية للتسويق.

إن "أم أحمد" البائعة الجائلة في منطقة التجمع الخامس بالقاهرة وكل من سار سيرها ونحا نحوها هم حجة على كل مسئول حكومي وكل بائع لسلعة ما يقرر أن يزيد من الأسعار -أي أسعار- وإنه توجد من الأساليب التسويقية الذكية ما يغنى عن ذلك.

وما لنا نذهب بعيدا؟ فإن هيئة سكك حديد مصر التي يصرخ مسئولوها كل فترة من انخفاض أسعار التذاكر؛ فإن العبد لله كاتب هذه السطور منذ سنوات وهو يركب القطار المسمى بالمطور من القاهرة إلى فاقوس بتذكرة قيمتها ثلاثة جنيهات فقط، ولو كان هذا القطار يخسر ما جعلوه يستمر كل تلك السنوات.

إذن كل زيادة أسعار لا مبرر لها كما أنها لها بديل.

أمهاتنا اللاتي في الشوارع

ظاهرة غريبة تمامًا على مجتمعنا، أن نرى نساء لديهن أبناء في مثل أعمار جيل كاتب هذه السطور جالسات في الشوارع تحت لفح الشمس، أو في ظل زحام ما بعد غروب الشمس وبداية قدوم الليل منتظرات من يعطيهن شيئا لله لعلهن يجدن ما يسد رمقهن، ظاهرة غريبة نعم، وظاهرة عجيبة أيضا أن تظهر في مجتمعنا الذي كان أكثر الأبناء جحودًا فيه هو من يعتزل بحياته الخاصة عن أمه مكتفيًا بزيارتها كل فترة أو كل يوم، ومتكفلاً بها على كل حال، الآن انقلب الوضع وانتشرت هؤلاء النساء في شوارعنا طارقات جرس الإنذار لمجتمع يبدو أنه الآن في غيبوبة عميقة، فما أبعد الفارق بين "عجائز ألمانيا" اللاتي تملأ تماثيلهن كل المدن الألمانية تخليدًا لبعثهن لنهضة ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، وبين "عجائز مصر" اللاتي تنكر لهن شباب وشابات مجتمعهن بهذا الشكل الذي نراه.

(١)

منذ حوالى عام مضى وجدت منشورًا على الفيس بوك فيه صورة

لامرأة مسنة تجلس على كرسي متحرك ويبدو أنها غائبة عن إدراك ما يحدث حولها، وقيل أنها موجودة قريبًا من مؤسسة الوفاء والأمل من ناحية المقابر المدفون فيها الفريق سعد الدين الشاذلي، وأنها تبقى هكذا كل يوم تلفحها الشمس وهى جالسة في انتظار صدقات أهل الخير، وفى مساء كل يوم يتطوع أي من المتواجدين قريبا منها وعلى معرفة بها بدفع الكرسي المتحرك إلى المكان الذي يؤويها، ومنذ ستة أشهر مضت وعندما كنت أتقدم بأوراقي للعمل بالشركة التي أعمل بها حاليًا مررت وأنا تحت الكوبري العلوي الذي في شارع نبيل الوقاد بالنزهة على امرأة تماثل المرأة الأولى تمامًا حتى في الشبه، جالسة مثلها على كرسي متحرك وتنتظر صدقات أهل الخير، أو حتى صدقات من تقطعت قلوبهم حزنًا لمشهدها، فمن المحتمل أن كثيرًا من الناس قد تخيلوا أمهاتهم في هذا الموقف الذي فيه تلك المرأة، ووقتها قد أعطيتها خمسة جنيهات لأول مرة أفعلها، إذ إنني من قبلها كنت عمليًا بعض الشيء، فبدلاً من أن أعطى امرأة واحدة خمسة جنيهات دفعة واحدة فتدعو لي دعوة واحدة، فلماذا لا أعطى جنيهًا واحدًا لخمسة نساء فأفوز بخمسة دعوات مستجابات بدلاً من واحدة؟

(٢)

المهم أنني منذ ذلك الوقت وكلما ذهبت إلى مقر الشركة لابد أن

أمرّ على تلك المرأة وأعطيها ليس أقل من خمسة جنيهات، وهو ما بدأت في فعله مع نساء أخريات غيرها، فأمام مسجد الحصري ب٦ أكتوبر تجلس نساء منتظرات مساعدات أهل الخير المترددين على مسجد الحصري، أو لعل فئة من الناس قد أثّر فيهم صوت الشيخ الحصري صادحًا بالقرآن الكريم فخشعت قلوبهم لدرجة أنهم قد وصلوا لمرحلة أن أيديهم اليسرى لا تعرف ما أخرجته أيديهم اليمنى، هذا وارد وموجود في الواقع، والعبد لله دائما ما يمرّ عليهن جميعًا معطيًا لكل واحدة منهن جنيهًا واحدًا، إلا التي تجلس في مواجهة المدخل الرئيسي للمسجد فإنني دائمَا ما أعطيها خمسة جنيهات وليس أقل من ذلك، وهناك أخرى عندنا في فاقوس تجلس أمام البرج الذي فيه فرع فودافون بفاقوس، كنت قد قاطعت خدمة فودافون كاش لفترة ليست قليلة بسببها، لأنني في إحدى الليالي مررت عليها ويبدو أنها كانت منتظرة "الأمانة" التي أعطيها لها كل يوم، وفى ذلك اليوم نفدت نقودي فلما دخلت إلى فرع فودافون طالبًا منهم مبلغًا من حسابى في فودافون كاش تعللوا بأن السيستم واقع، وظللت حزينا لحوالي شهر لأنني لم أجبر بخاطر تلك المرأة في تلك الليلة، ومن يومها وأنا أعطيها خمسة جنيهات في كل مرة أمرّ عليها فيها، أو جنيهين في كل يوم إذا مكثت في فاقوس لفترة.

هؤلاء النساء لم يعدن واحدة ولا مائة ولا ألفاً، وإنما صرن ظاهرة

واضحة للعيان ومتواجدات في شوارع كل مدينة تقريبًا, ولهذا كان لابد من النظر إلى تلك الظاهرة من خلال عدسة زيتية مكبرة لنستكشف الأسباب ونحاول أن نضع العلاج.

(٣)

من المؤكد أن كل واحدة منهن لها قصة مختلفة عن الأخرى، لكن النهاية واحدة، فقد تكون هذه قد فقدت زوجها وعانت من بعده من جحود أبنائها، وقد تكون هذه الأخرى ليس لها أبناء أصلاً، وقد تكون هذه منفصلة عن زوجها منذ فترة ليست قليلة ومن بعده كان لها مورد رزق وقد انقطع الآن، وقد تكون تلك لا تعانى من فقد زوجها ولا من جحود أبنائها لكنهم جميعًا يعانون من الأسعار المجنونة والحياة الطاحنة فلم يكن أمامها إلا أن تفعل ما فعلت.

ولابد أن التفكك الأسرى قد لعب دورًا في انتشار تلك الظاهرة، فخلافا لأزمنة ماضية لم يمض عليها كثير بالمناسبة كان الأبناء يتشاجرون على أي منهم سيفوز بوجود أمه معه في بيته، تخدمها زوجته ويلعب معها أبناؤه، ولعل هذا ما جسدته قصيدة شعرية كنا قد درسناها في الصف الثالث الابتدائي حسبما أذكر، وفكرة الشاعر فيها أن الحفيد فرحان بوجود جدته معه في البيت، حتى

إنه عندما يرتكب خطأ ما ويشرع والده في عقابه فإن جدته هي التي تتصدى لأبيه موبخة إياه ومذكرة له بأنه كان يفعل ذلك إذ كان صبيا في مثل سن ابنه.

خلافا لذلك صار الأبناء يتشاجرون على أي منهم لن تكون معه أمه في بيته حتى لا تتضرر منها الهانم زوجته.

ولن نتكلم كثيرًا في الأسباب التي أدت إلى ظهور تلك الظاهرة التي ما كان لها أن تظهر في مجتمعنا، فما بالنا بأنها قد تعدت مرحلة الظهور بل ومرحلة الانتشار إلى مرحلة الاستفحال؟!

فالكلام الكثير عن الأسباب لن يجدى نفعا مع مجتمع لم يعد كما كان، وصار يعانى من مختلف العلل والآفات الخُلقية، فهذا هو السبب الجامع لما نعرفه وما لا نتصوره من أسباب، أن هذا المجتمع لم يعد حقيقة كما كان، والعيب إن خرج من أهل العيب فليس عيبا كما يقول المثل الشائع! خاصة أننا قد تجاوزنا مرحلة تلافى الأسباب، لكن من الممكن أن نتكلم في العلاجات المتاحة والممكنة، ليس فقط من أجل عدم الوقوع في الحرام أو العيب، ولكن من أجل الحفاظ على مشاعرنا فيها بقية من الحياة، وأن نظل بشرا لدينا قلوب بدلاً من حالة التحجر التي نحياها في هذه الحقبة، خاصة أن كثيرًا من الناس يمرون على أمهاتنا اللاتي في الشوارع مفتخرين بذكائهم في استكشاف حقيقة هؤلاء المتسولات

غير المحتاجات من وجهة نظرهم البالغة الذكاء والألمعية!

(٤)

أول تلك العلاجات هو العلاج التشريعي القانوني، فإن الأبناء الذين يبخلون على أمهاتهم بالإنفاق فالقانون جدير بالتعامل معهم، ولابد من سن تشريع يجبر الأبناء على الإنفاق على أمهاتهم اللاتي ليس لهن مورد رزق يكفيهن، فمن المعلوم أن النساء غير العاملات لا يكفيهن معاش الزوج الذي فارق الحياة، ولنا في قانون الحوال الشخصية شمعة تضيء لنا هذا الظلام، فإن قانون الأحوال الشخصية يجبر الزوج على إعطاء زوجته المطلقة ربع مرتبه، فلماذا لا يكون هناك تشريع مماثل يضمن حق الأم أيضا؟ ولماذا لا يراعى فيه سهولة الإجراءات بدلاً من الجري في ساحات المحاكم لسنوات بحيث يكون القرار في يد مأمور كل مركز شرطة وليس عن طريق القضاء؟

وثاني تلك العلاجات هو العلاج الحكومي التنفيذي، فإن حكوماتنا الرشيدة التي تبنى سجونا بالمليارات في ظل تلك الأزمة الاقتصادية الطاحنة هي قادرة على توجيه جزء من ميزانية تلك السجون لبناء وحدات سكنية لإيواء المشردين والمتسولين، وأفضل فكرة في نظري في هذا السياق هي فكرة مشروع المليار التي بذل فيها الفنان محمد صبحي جهدا كبيرًا لكن لا نعلم ما نتيجة

جهوده الآن، فإن فكرته كانت تعتمد على إنشاء وحدات سكنية صغيرة المساحة للإيواء وليس الترفيه، أي أن الوحدة مهمتها توفير أربعة حوائط لمن لا يجد سكنًا حيث يتوسد الأرض ويلتحف السماء، فإن تطورت حالته وأصبح في غنى عن تلك الوحدة فليتركها لغيره الأكثر احتياجًا منه إليها، فإن تم تعميم تلك الفكرة في كل عواصم المحافظات أو في معظم مدن الجمهورية فلن نجد مشردًا أولاً، ولن نجد سائلة من أمهاتنا اللاتي في الشوارع، خاصة أن من حسن طبائع النساء إذا تجمعن في مكان أنهن يقسمن اللقمة فيما بينهن.

والسجون الكثيرة جدا الموجودة الآن من الممكن الإفراج عن أعداد كبيرة من نزلائها واستخدام مبانيها في الإيواء، فمن الممكن أن تتنازل حكوماتنا قليلاً عن شغفها بوضع الشعب المصري كله خلف القضبان، وأن تفرج عن كل من قضى نصف المدة مهما كانت تهمته، فستكون النتيجة وجود مباني كانت سجونًا لكنها الآن خالية، فمن الممكن استخدامها في الإيواء وفى إطعام هؤلاء المعدمين في وقت واحد، وقد قضيت يومًا وليلة بين سجناء مركز ومدينة ميت غمر، واتضح لي أن أكثر هؤلاء من الشباب صغير السن الذين هم ضحية مجتمعهم بينما مجتمعهم يعاقبهم على فشله هو في توفير حياة كريمة لهم! فقياسا على هؤلاء الشباب من الممكن الإفراج عن نصف سجناء مصر بجرة قلم واستخدام أماكن سجنهم للإيواء والإطعام، ومن خلال تجاربى في

الجلوس في موائد الرحمن الرمضانية قد اتضحت لي سهولة عملية إطعام هؤلاء المعدمين والمعدمات بتوفير وجبات لهم، سواء من مساهمات أهل الخير، أو من خلال المؤسسات التي تتبنى هي مشروعات خيرية، ففي المدينة الصناعية ب٦ أكتوبر كانت هناك شركات تقوم بإفطار ألوف الصائمين كل يوم، وكذلك كانت تفعل جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا، ومن الممكن الاستمرار في تلك السياسة لكن بتكلفة أقل وإطعام كل معدم لا يجد شيئاً يأكله من النساء ومن الرجال أيضًا، ومن الممكن أن يدخل بنك الطعام المصري على الخط في هذه المسألة، فيقوم متطوعوه بحصر لكل أمهاتنا في شوارع كل مدينة من مدن مصر, ومن الممكن أن يشمل الحصر كل من لا يجد شيئاً يأكله في كل مكان، ومن السهل توفير ولو وجبة بسيطة واحدة كل يوم لكل أم من أمهاتنا هؤلاء، ولا يشترط فيها أن تكون مكلفة، فعدة سندوتشات من الفول والفلافل كل يوم تؤدى الغرض.

وثالث تلك العلاجات هو العلاج الفكري، فإن إصلاح الأفكار أهم بكثير من التشريعات والإجراءات الحكومية، ولا يمكن نسيان ما أرساه العلامة القرضاوي في كتابه الهام:"مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام" من مبدأ التكافل الذي يأتي على رأس حلول مشكلة الفقر في أي مجتمع حتى ولو لم يكن مسلمًا، نعم هناك موارد للحكومة وهناك إجراءات حكومية تحدث للحد من الفقر في أي مجتمع، لكن الأهم من ذلك هو شيوع التكافل بين أفراد

المجتمع وشعور كل منهم بآلام الآخر، وعدم نسيان أن الذي يبيت جاره جائعًا وهو يعلم فليس من المؤمنين!

نعم هناك من يقول إن هؤلاء النساء غير محتاجات ومن ثم فلا يصح إعطاءهن شيئاً وأننا بهذا نشجعهن على التسول، وهذا الطرح صحيح قليلاً لأن الجالسات أمام مسجد الحصري فيهن واحدة أو اثنتان تجلسان واضعات للمكياج كل يوم جمعة وسائلات للمصلين أثناء دخولهم للصلاة وأثناء خروجهم بعد صلاة الجمعة، هذا مثال.

لكن في المقابل هناك نساء يجلسن أمام المسجد هن لا يسألن أحدا الصدقة، لكنهن يبعن المناديل الورقية التي ربح كل علبة منها عشرة قروش فقط لا غير! فهؤلاء وكل من يماثلهن هن من أعنيهن بكل ما كتبت في السطور السابقة، نساء كبيرات في السن غير قادرات على الكسب وحالتهن في قمة الصعوبة، فأقل شيء يتم عمله لكل واحدة منهن هو إعطاءها ثمن علبة المناديل وهو جنيه واحد دون أخذ العلبة منها، بحيث يكون العائد عليها من كل علبة ليست عشرة قروش ولكن جنيهًا كاملاً، فإن فعل عدد من الناس ذلك مع كل امرأة منهن في كل مكان في مصر فستنتهي تلك الظاهرة في خلال أيام قليلة بأيدي أهل الخير، أو بأيدي ذوى القلوب التي لم تمت بعد.

ومسألة هل السائل محتاج حقيقة أم لا هي مسألة ظنية، يؤكد

ظنيتها قوله تعالى:"يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف"، إذن هناك معدمون مساكين يظنهم الناس غير محتاجين جهلاً بحقيقة حالهم، وكاتب هذه السطور عاش حالة من ذلك النوع أيام الفرقة الأولى بكلية الزراعة بمشتهر، فقد كان لنا زميل في الكلية ويسكن معنا بالمدينة الجامعية ظروفه لم تكن تسمح له أن يكون مصروفه أكثر من خمسة جنيهات كل أسبوع، بينما أبى – رحمه الله– كان يعطيني عشرين جنيها كل أسبوع كنت أدّخر نصفها تقريبا، فكنت آخذ الخمسة جنيهات من زميلي هذا وأضعها على العشرين جنيها التي معى ونقسم المبلغ الإجمالي نصفين و يأخذ كل منا نصفه ويكفيه طوال السبوع، ومن يدرى لعل أبى الآن وهو بين يدى الله لا يتمنى أن يعود إلى الدنيا إلا للاستزادة من هذا النشاط الذي وجد عن طريقه جبالاً من الحسنات الآن لم يكن يعلم عنها شيئاً حتى لقى ربه فوجدها عنده.

فزميلي هذا واحد من الناس الذين ينخدع الناس فيهم فيظنهم غير محتاجين بينما هم معدمون أصلاً.

وفي نفس هذا السياق صادفت منذ أسابيع وأنا في ميت غمر امرأة جالسة على قارعة الطريق فأعطيتها جنيهًا ونصف هما ما كانا معى من الفكة وقتها، فقالت لي بتلقائية: معك لقمة؟ فكادت الأرض تميد بي لفرط التأثر، وسارعت إلى إحضار سندوتشات لها لكى تسد جوعها، فما رأى الأذكياء الذين يرفضون إعطاء أي سائل؟

الكلام في هذه المسألة كثير، وأنا لا أريد الإطالة أكثر من ذلك، خاصة أن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، لكن أكثر ما يهمني منه هي نصيحة لكل من له قلب إنسان أنه إذا صادف في أي من شوارع مصر أيا من أمهاتنا هؤلاء أن يعطيها جنيهًا واحدا كل يوم أو حتى كل أسبوع، وهو المستفيد والله، أما هي فلها رب لن يعجزه رزقها حتى ولو بخل عليها الناس جميعًا.



فهرس

عن الدار ومشروع النشر الحر

دار لوتس للنشر الحر هي أول دار نشر حرة يملكها الجميع، تعتمد مبدأ النشر الحر من خلال مشروع طموح يهدف إلى تخطي عقبات النشر ومساعدة كل كاتب للنشر بطريقة تمنحه الحرية الكاملة وكل الصلاحيات للتعامل مع كتابه، أن ينشره بالطريقة التي تريدها، أن يطبع منه الكمية التي يريدها، أن يوزعه بالأسلوب الذي يريده، أن يُعيد نشره في أية لحظة ومع أيه دار نشر يريد، أن يملك كل الحقوق من الألف إلى الياء لإخراجه بطريقة تحترم القارئ، وأن يقوم بتسعيره وبيعه كما يشاء، دون استغلاله مادياً أو معنوياً، ودون احتكار لمجهوده الفكري في عملية تجارية، وبدون تكلفة مالية.

دار لوتس للنشر الحر هي مشروع خدمي وليس تجاري، تدعم الكاتب الموهوب وتسانده، تحاول الارتقاء بمستوى الأدب وتهدف إلى احترام الكاتب والقارئ من خلال نشر كل ما هو جيد في مجالات الرواية، القصة القصيرة، الفكر والتنمية، الشعر والخواطر، الأدب الساخر، وبعض الكتب التي لا تخضع للتصنيف السابق لكن دون الإساءة لشخص، أو أشخاص، أو مؤسسات، أو أفكار، أو عقائد، أو ديانات، أو أنظمة سياسية.

للانضمام إلينا..

Mob: +2 01091985809 - +2 01272143509
WhatsApp: +2 01091985809
Site: www.Lotusfreepub.com
Mail: Lotusfreepub@gmail.com
F Account: www.facebook.com/lotusfreepub1
F Page: www.facebook.com/lotusfreepub



أصدارات الدار

قلم عطر	خواطر	مجموعة مؤلفين
وعادت ريما	رواية	راضية موحوس
مثل ليلة حب	خواطر	أسماء إبراهيم
وكأني أحبك	خواطر	زهرة العدوي
عالم قراطيس قراطيس	أدب ساخر	هاني النجار
أوتار	خواطر	مجموعة مؤلفين
دماء على ثوب أبيض	رواية	نسمة أبو النصر
كوني أماً عظيمة	فكر	حاتم سلامة
أموات فوق الأرض	رواية	محمد جمال
بقلم رصاص	خواطر	أمنه محمد قناش
حريق على الجسر	رواية	هاني النجار
القدرات السحرية	تنمية ذاتية	بسام سامي
العالم لن ينتظرك	فكر	أحمد شاكر
عندما ينتحب الياسمين	خواطر	هنادي العبودي
مرايا	خواطر	مجموعة مؤلفين
البوهيمي	مجموعة قصصية	أحمد رشدي
أيها الشباب لا تفقدوا الأمل	فكر	عبد الجواد السيوطي
التشجيع يصنع المعجزات	فكر	حاتم سلامة
خريف مريم	رواية	صفاء عبد الصبور
حلم صريع	خواطر	محمد باهي
مُتيم	خواطر	غادة مايز
يوميات رجل محسود	أدب ساخر	على عمر خالد
هدوء ما قبل الانفجار	خواطر	زهرة العدوي

الموؤودة	رواية	نادية بن الشيخ
أنين المساجد	فكر	نادية طاهر
صوت السماء	شعر	محمد ربيع العاني
طبق كشري	أدب ساخر	عبد الفتاح عطا
وأحببتك بعين قلبي	رواية	صفا غنيم
ما لا تعرفه عن الهجرة	فكر	عبد الجواد السيوطي
الأيام الأخيرة	رواية	مصطفى عبد العظيم
موانئ الرغبة	شعر	مروج حسين
١٠٣	رواية	محمد جابر
زمن الحنين	شعر عامية	رحاب عصمت الزيلعي
أوراق على دفتر الحنين	مجموعة قصصية	حسام الدين ريشو
أحببتُ شبحاً	مجموعة قصصية	حمادة هيكل
حكايات من التاريخ	تاريخ	طاهر عبد الرحمن
كلمات ربي (ج١)	فكر	تامر عوض
وشم على كتف الحياة	شعر	محمد محسن
كيتو ياكيفو	رواية	محمد الحريري
يتيمة بأبوين	رواية	بتول عبد القادر
مائة عام على كوكب الأرض	رواية	محمد صبحي
نبوءة عاشق	رواية	رانيه عيسى
رصيف نمرة ٢	رواية	نجوى إبراهيم
قمر الدم	رواية	هشام الحمراوي
حنين الحنين	خواطر	نورا صبحي
نساء وقيود	رواية	أسماء إبراهيم
الذين أخفوا الشمس	فكر	هاني النجار
الآهات المكبوتة	مجموعة قصصية	رانيه عيسى

عن الذي استدان ليشتري الشقاء	رواية	هبة عبد المنعم
كتبتُ أحبك	شعر	محمود أبو زيد
فلاكا	مجموعة قصصية	مجموعة مؤلفين
الآدم وهي	خواطر	منى العطار
أحلام فجر	رواية	سعيد الشودفي
مفاهيم إدارية لثالث ألفية	علوم	رحاب العيسوي
عاشق الضي	شعر عامية	إيهاب سالم
أنامل قصصية	مجموعة قصصية	مجموعة مؤلفين
الضال	رواية	عبد الفتاح عطا الله
ماهر وسماهر وبئر النسيان	طرائف وحِكم	ماهر عطوه
مملكة روح	رواية	عبير عيد سليمان
بدون..	مجموعة قصصية	محمد الشحات
من الأكاديمية إلى الفيلا	**مقالات**	**وليد العجمي**

للتواصل مع الكاتب

www. facebook.com/almujaded

٠١٠٢٤٠٩٦٢٤٠

عزيزنا القارئ..

يسعدنا تلقي ملاحظاتك على الكتاب كمساهمة منك لتعديلها في الطبعات القادمة ودفعاً منك لتقدم هذا المشروع على البريد الإلكتروني التالي:

lotusfreepub@gmail.com



لوتس للإنتاج والتوزيع



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

/ ٢٠١٨


من الأكاديمية
إلى الفيلا
هذا هو كتابي الثاني منذ عملت في مهنة الأمن منذ نحو عام مضى، سبقه كتاب "حواديت مدينة الرحاب".
وبينما كان الكتاب الأول يعمل تصحيحاً للمفاهيم ورداً للاعتبار لمهن عديدة يمتهنها قطاع ليس بالقليل من أبناء الشعب المصري، فإن هذا الكتاب الذي أضعه بين يدي قارئي الكريم يبحر في اكتشاف غموض النفس البشرية خاصة نفسية الأثرياء، ويحاول من خلال ذلك التوصل إلى حلول لمشاكل المجتمع عامة.